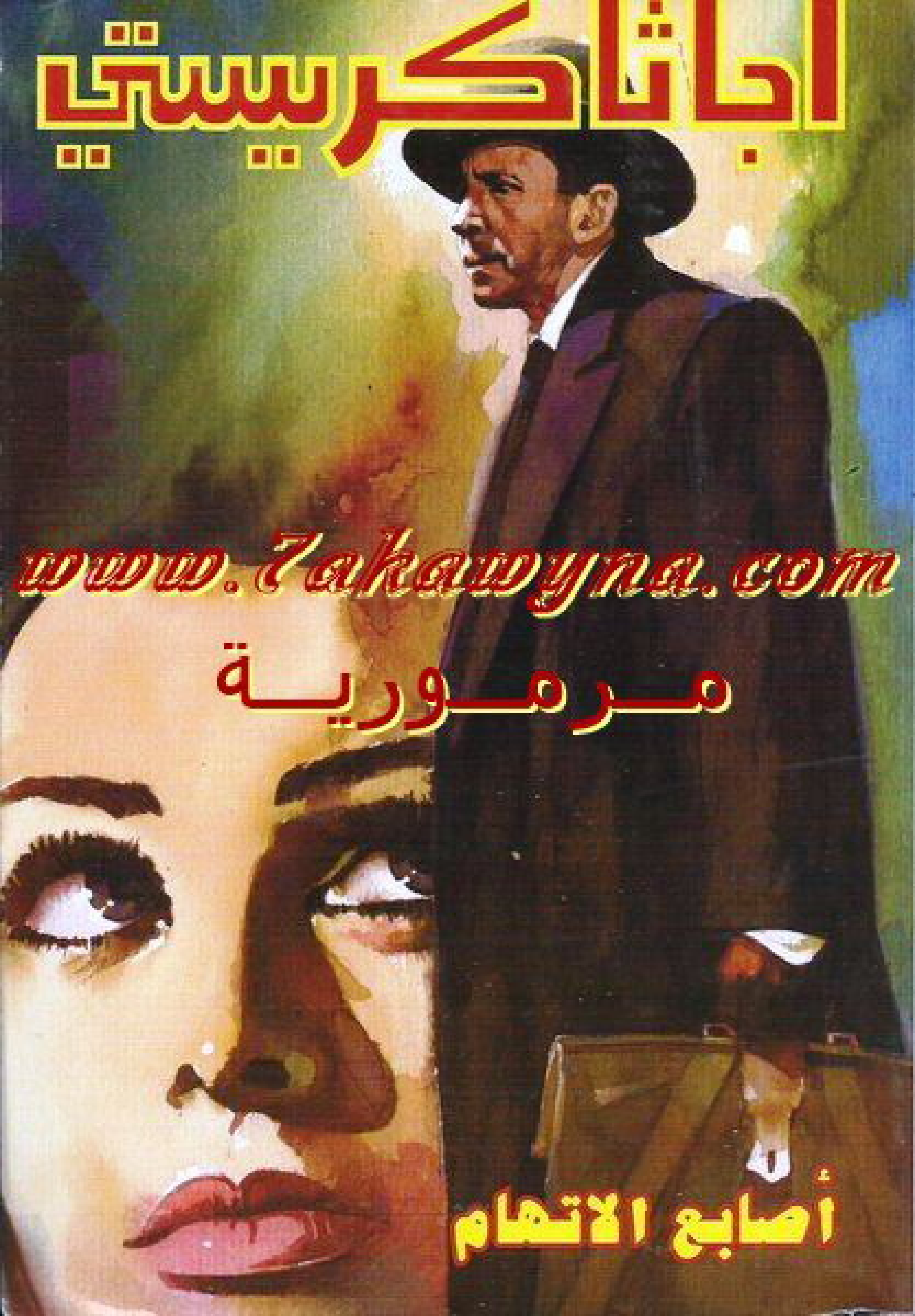

أجاثا كريستي
www.7akawyna.com
مرمورية
أصابع الاتهام



أجاثا كريستي

(1890 - 1976)

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصّبها ملكة عليهم جميعًا. تميّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديّون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

أصابع الاتهام

The Moving Finger

إن القديسة «ليمستوك» الهادئة تبدو مثالية لأمثال «جيري بيرتون»، كي يتعافى من أثر الحادثة التي تعرض لها ليكون تحت رعاية أخته «جوانا»، إلا أن سلسلة الخطابات الشديدة المسمة قد دمرت هذا الهدوء الساحر، كما كانت السبب وراء انتحار أحد متلقي هذه الرسائل. بينما كان القس والطبيب والخدم على شفا اتهام بعضهم البعض عندما وصلت النجدة أخيرًا على غير المتوقع، فقد تصادف أن ضيف القس ليس سوى «جين ماربل».

ثمن الكتاب

لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الاردن	2 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	اليمن	400 ريال

ISBN 9953382425
9789953382425

الاسم الأصلي للرواية

The Moving Finger

(1942)

الغلاف بريشة الفنان

عبد العال

- 1 -

عندما رفع الطبيب الضمادات عن أطرافي وسمح لي بالوقوف على قدمي ، قال الدكتور **"ماركوس كنت"** :

- أنصحك بشيء واحد أن تأكل وتنام وتحاول قدر المستطاع أن تقلد المملكة النباتية ..

لم يكن في استطاعتي أن أسأله عما إذا كنت أستطيع الطيران بعد ذلك مرة أخرى . فهناك أسئلة لا يجرؤ الإنسان على توجيهها خوفا من الاستماع إلى الرد عليها ، ولكن الطبيب تطوع بالإجابة عن السؤال الذي كان يؤرقني قائلا :

- سوف تستعيد قواك تماما ، ولكن الأمر سوف يحتاج إلى بعض الوقت والصبر، فعندما يتعلق الأمر بعودة الأعصاب والعضلات إلى حالتها الطبيعية ، فلابد للمخ من مساعدة البدن ، وأي تعجل للشفاء يعرضك لنكسة خطيرة..

عليك أن تعيش حياة بطيئة الإيقاع إذا كنت تريد العودة إلى حالتك الطبيعية، ولا تنس أن كثرة العقاقير المخدرة التي تناولتها قد أضعفتك إلى حد بعيد . الروشتة التي أكتبها لك هي الذهاب إلى الريف والتزام الراحة أطول فترة مستطاعة .. استأجر بيتا في الريف ، وحاول أن تندمج مع المجتمع الريفي ، مستمعا إلى ثرثرة الناس هناك .. وإذا أردت رأيي فأنا أنصحك بالذهاب إلى مكان ليس لك فيه أصدقاء ..

هكذا ذهبت مع أختي **"جوانا"** لمقابلة العديد من السماسرة حتى وقع اختيارنا على بيت صغير في **"ليمستوك"** تتوافر فيه الشروط المطلوبة . كان

البيت يقع على بعد ثمانمائة متر تقريبا في "**ليمستوك**" على حافة البراري ، وكان البيت أبيض اللون له شرفة صغيرة مطلية باللون الأخضر ، يطل على بعض المروج الخضراء وكنيسة "**ليمستوك**" .

كان البيت ملكا لمجموعة من السيدات العوانس ، لم تبق منهن سوى أصغرهن الآنسة "**إميلي بارتون**" ، واعتذرت لـ "**جوانا**" بقولها إنها ما كانت تفكر في عرض البيت للإيجار لولا الدخل القليل والضرائب ، فضلا عن سعادتها بدخول دماء شابة إلى المكان .

رأت "**جوانا**" أن تتدخل في الحديث حتى لا تسترسل العجوز في ثرثرتها ، وقالت :

– أصيب أخي في حادث طائرة ، وهو يحتاج إلى فترة طويلة من الراحة .

وقالت الآنسة "**بارتون**" بإشفاق :

– يا إلهي ! يا له من خبر محزن !. شبان هذا اليوم شجعان .. يبدو أنه سيكون مقعداً ..

قالت "**جوانا**" مؤمنة :

– تقريبا .. كذلك سوف يكون حالي ..

قالت الآنسة "**بارتون**" مستدركة :

– يا لي من عجوز غبية !. كانت شقيقاتي أكبر مني ، وعاشت أمي حتى سن السابعة والتسعين ، ولهذا فأنا متخلفة عن زماني .. المشكلة الوحيدة في البيت عدم وجود طفايات للسجائر ..

قالت "**جوانا**" باسمة :

– لن نترك بقايا السجائر على أثاثك الجميل .. أعدك بذلك .

اتفقنا على استئجار البيت لمدة ستة أشهر مع احتمال تجديد العقد لمدة ثلاثة أشهر أخرى ، وقالت الآنسة "**بارتون**" إنها شديدة الأسف لأنها سوف تترك البيت لتعيش في غرفة صغيرة عرضتها عليها خادمتها السابقة المخلصة "**فلورنس**" التي تزوجت بعد أن قضت في خدمتها أربعة عشر عاما ، ويعمل زوجها في البناء ..

استقر بنا الحال في البيت الصغير ، ووافقت "**باتريدج**" خادمة الآنسة "**بارتون**" على البقاء معنا ، وكانت تجيء لمساعدتها في كل صباح فتاة لطيفة رغم أنها قريبة من البلاهة .

كانت "**باتريدج**" ضخمة الجسم في منتصف العمر ، بارعة في الطهي .

جاءت الآنسة "**بارتون**" لزيارتنا بعد أسبوع من وصولنا في صحبة السيدة "**سيمنجتون**" زوجة المحامي ، والآنسة "**جريفيث**" شقيقة الطبيب المحلي ، والسيدة "**دين كالثروب**" زوجة راعي الكنيسة ، والسيد "**باي**" من أصحاب الأملاك .. وأعربت "**جوانا**" عن دهشتها لمجيء الضيوف ومعهم أوراق اللعب .

وقلت لها : لأنك لا تعرفين شيئا عن سكان الريف .

وقالت "**جوانا**" :

– هراء .. لقد قضيت كثيراً من عطلات نهاية الأسبوع في الريف ..

لما كنت أكبر "**جوانا**" بخمسة أعوام ، وأذكر الأوقات التي كنا نقضيها في العطلات والأعياد عند عمتي في "**لندن**" حيث نقضي الوقت في الذهاب إلى السينما أو التجديف ، قلت لها :

– سوف تبدو لك الإقامة هنا كئيبة مملة ..

كانت "**جوانا**" شابة رائعة الجمال ، مولعة بالرقص والحفلات ، والانغماس في المغامرات العاطفية وركوب السيارات السريعة .. ضحكت "**جوانا**" وهي تقول :

– انا سعيدة في الواقع لأنني سوف أرتاح من تلك الحياة الصاخبة .. لقد احسست في الواقع بالوحدة بعد انقطاع صلتي بـ"**بول**" ، وسوف احتاج إلى زمن طويل لكي أنساه ..

كنت أختلف في الرأي مع "**جوانا**" حول هذا الموضوع الأخير .

فقد اعتدت أن أراها مستغرقة في حب شاب وهي تتخيل انه عبقري زمانه، وتظل تستمع إلى شكاواه المتصلة حول عدم تقدير الناس إياه واعترافهم بعبقريته ، حتى إذا قابل الشاب حبها بالنكران أصيبت بخيبة الأمل وخيل إليها أن قلبها قد تحطم تماما ، حتى تلتقي بشاب آخر في فترة لا تتجاوز في العادة ثلاثة أسابيع ..

لهذا لم آخذ كلامها عن "**بول**" على محمل الجد ، ولكنني وجدت الحياة في الريف خير علاج لها من حبها الفاشل .. وسالتني "**جوانا**" :

– هل أبدو في خير حال ؟

تاملتها جيدا بثوبها "**الاسبور**" ، وقلت لها معاتبا :

– كلا .. كان الأجدر بك أن ترتدي جونلة طويلة تناسب جو الريف .. كذلك الحال بالنسبة لوجهك ، فانت تضعين الكثير من الأصباغ ..

وسالتني "**جوانا**" باهتمام :

– هل تعتقد أنهم سوف يرونني فظيعة ؟

– كلا .. مجرد شيء غريب ..

قالت "**جوانا**" بعد انصراف الزوار :

– إنهم يبدون أسرا سعيدة .. أعتقد أن المكان لطيف يا "**جيري**" .. إنه مكان عتيق وسط هذا العالم الكبير ، لا يمكن أن يخطر ببالك أن يقع فيه أي حادث مكدر . الا تشاطرني هذا الرأي ؟

رغم أنني كنت أعلم أن "**جوانا**" ليست جادة فيما تقول ، إلا أنني وافقتها، فلا يمكن أن تقع أي أحداث محزنة في "**ليمستوك**" ، ولكن الشيء الغريب أنه لم يمض سوى أسبوع واحد حتى تلقينا أول رسالة ..

أعرف أنني بدأت قصتي بداية سيئة ، ولم أعط وصفا دقيقا لـ"**ليمستوك**" ، ودون فهم حقيقة "**ليمستوك**" ، فلن يسهل فهم قصتي .

أولا .. لـ"**ليمستوك**" جذور ممتدة في الماضي منذ الغزو النورماندي ، ولها ماض متصل بالكنيسة ، فقد كان اللوردات والنبلاء في المناطق المجاورة يتنازلون عن بعض أراضيهم وممتلكاتهم للكنيسة ، مما جعل المنطقة تنعم بالثراء والأهمية بضعة قرون، وشيدت فيها خلال حكم "**هنري الثامن**" قلعة تشرف على المدينة ، وظلت حتى العصر الحاضر تتمتع بتلك الأهمية والثراء.. وانهارت القلعة في القرن السابع عشر، وزحفت على المدينة تيارات الحضارة المعاصرة ، واصبح يقام فيها سوق كل اسبوع ، إلا أن خطوط السكك الحديدية والطرق الكبيرة لم تقترب منها ، وكان يقام في المدينة سباق للخيل مرتين كل عام ، ويوجد فيها طريق رئيسي جميل على صفيه بيوت أنيقة ، تحيط بها حدائق مزروعة بالخضراوات والفاكهة ، وبها مجموعة من محلات البقالة والجزارة وبيع الأسماك ، ومؤسسة قانونية باسم السادة "**جالبريث**" و"**سيمنجتون**" ، وكنيسة قائمة منذ القرن الرابع عشر ، ومدرسة وحانتان ..

تلك كانت مدينة "**ليمستوك**" .. وبناء على إلحاح الآنسة "**بارتون**" ، فقد توافد على زيارتنا كل من له أهمية في المدينة الصغيرة ، وكان ذلك شيئا مسليا بالنسبة لنا ، فنحن لم نأت هنا للاستمتاع بالحياة الصاخبة ، وإنما تنفيذاً لتعليمات الطبيب الذي نصحني بالتزام الراحة التامة وتسلية نفسي بأخبار الجيران والفضائح المحلية ، وكنت أتساءل في البداية كيف سأتعرف على تلك الفضائح ولكن الغريب في الأمر كانت تلك الرسالة التي وصلت ساعة الفطور ، وكانت رسالة من مجهول وغلافها مكتوب على الآلة الكاتبة ، وكان نص الرسالة عبارة عن كلمات مقطوعة من كتاب وملصقة على الورق ، وما كدت أقرأ الرسالة حتى شحب لون وجهي وسألتني "**جوانا**" بقلق عن الرسالة فقلت لها :

– رسالة من مجهول ..

كنت لا أزال تحت وطأة الصدمة ، وقالت "**جوانا**" :

– ماذا تقول الرسالة ؟

وأخبرتها أن مرسل الرسالة يقول إننا لسنا أخا وأخته ، ارتبكت "**جوانا**" برهة ثم قالت باسمة :

– ربما كنت على حق عندما قلت إنني أسرف في المكياج ..

وعلقت على ذلك بقولي :

– فضلا عن أن أبانا كان أسود الشعر عريض المنكبين ، بينما كانت أمنا ناعمة الشعر زرقاء العينين ، وقد أخذت عن أبي بعض صفاته الوراثية ، بينما أخذت أنت عن أمي بعض صفاتها أيضاً ..

هزت "**جوانا**" رأسها مؤمنة وهي تقول :

– نعم .. لا يوجد ثمة شبه بيننا .. ولا أحد يستطيع أن يحكم من نظرته إلينا أننا شقيقان .

وتداولنا فيما نفعله بالرسالة ، واستقر رأينا في النهاية على أن نتركها طعمة لنيران المدفأة ، وهو ما نفذناه بالفعل وقالت "**جوانا**" :

– إنني لأتساءل .. من الذي أرسل الرسالة ؟

وأجبتها قائلا :

– من المحتمل ألا نعرف شخصيته أبدا ..

سكتت "**جوانا**" برهة ثم قالت :

– كنت أعتقد أنهم يرحبون بنا في هذا المكان .

– نعم .. ولكن هذا العمل كريه .

عندما ذهبت "**جوانا**" لتستمتع بأشعة الشمس ، أخذت أفكر في أمر تلك الرسالة الغريبة ، يوجد شخص لا يروقه وجودنا . شخص يعترض على وجود "**جوانا**" بجمالها الصارخ ، وفكرت في أن خير ما نفعله هو أن ننسى الموضوع برمته .

جاء الدكتور "**جريفيث**" في نفس الصباح ، وكنت قد اتفقت معه على زيارتي مرة كل أسبوع للاطمئنان على تقدم صحتي وبمجرد أن رآني الطبيب سألني عما يقلقني ، وأخبرته بالرسالة المجهولة ، وقال :

– إذن فلقد تلقيتما واحدة من تلك الرسائل ؟

وسألته باهتمام :

– هل تعني أن هذه الرسائل متداولة في المكان ؟

– نعم .. منذ بعض الوقت .

أخبرت الطبيب أن "**جوانا**" قابلت الموضوع باستخفاف ، وقال "**جريفيث**" :

– المشكلة أنه طالما بدأ هذا الشيء فإنه سيستمر .. وهذه ظاهرة مرضية .

هززت رأسي مؤمنا ، ثم سألته :

– هل لديك فكرة عن الشخص الذي يرسل مثل هذه الرسائل ؟

– لا ... وأعتقد أن وراء إرسال هذه الرسائل المجهولة سببين .. إما أن تكون الرسالة خاصة .. موجهة لشخص معين أو مجموعة من الأشخاص ، أي أن هناك دافعًا خاصًا كأن يرسل الرسالة خادم مفصول من الخدمة أو امرأة غيور ولكن الرسالة عندما تكون عامة وليست موجهة لشخص بعينه ، يكون الأمر أكثر خطورة . لأن كاتب الرسالة ينفس عن رغبة مكبوتة أو حقد دفين ، وهو إنسان مريض ، ويتفاقم مرضه حتى ينكشف أمره في النهاية ، ويتضح أنه شخصية أبعد ما تكون عن الشبهات .. وقد حدث مثل هذا الشيء ، في الجانب الآخر من المنطقة في العام الماضي ، وأذكر أنني صادفت حالة كهذه في أثناء خدمتي في الشمال ، واتضح أن الدافع هو الحقد ، وأصارحك القول : إن هذا الموضوع يخيفني .

وسألته :

– هل بدأت حكاية الرسائل المجهولة منذ زمن طويل ؟

– لا .. ولكنني أعتقد أن بعض من يتلقون مثل هذه الرسائل لا يتحدثون عنها ويحرقونها .

سكت الطبيب برهة ثم استرسل يقول :

– أنا نفسي تلقيت واحدة من تلك الرسائل ، كذلك الحال مع

"**سيمنجتون**" المحامي ، كذلك عرفت من اثنين من زبائني الفقراء أنهما تسلما رسائل مجهولة.

– وهل كانت الرسائل تدور حول نفس المعنى ؟

– نعم .. كلها تدور حول الجنس .. كان الاتهام الموجه لـ "**سيمنجتون**" أنه على علاقة مع الكاتبة في مكتبه رغم أنها سيدة في الأربعين وأسنانها مثل أسنان الأرنب .. أما الرسالة التي تلقيتها فكان يتهمني مرسلها باستغلال مهنتي مع زبائني من النساء .. الرسائل صبيانية سخيفة ولكنها تثير القلق .. وأخشى أن تنتج عنها عواقب وخيمة ، خاصة عندما ترسل إلى أشخاص غير مثقفين ممن يصدقون كل كلمة مكتوبة ..

وقلت له شارد اللب .

– كانت لهجة الرسالة تدل على أنها مرسلة من شخص لم ينل قسطا كبيرا من التعليم .

وسأل الطبيب بانفعال :

– حقا ؟

- 2 -

لا أستطيع أن أدعي أن وصول الرسالة المجهولة لم يسبب لنا بعض الضيق ، ولكنه في نفس الوقت سرعان ما ذهب طي النسيان ..

أما بالنسبة للحادث الثاني . فقد وقع بعد أسبوع ، عندما أخبرتني "**باتريدج**" أن مساعدتها "**بياتريس**" سوف تتغيب عن العمل ذلك اليوم ، وأضافت :

– اعتقد يا سيدي أن شيئًا ما ضايقها .

ظننت في البداية أنها تقصد تغيب "**بياتريس**" بسبب مغص في المعدة ، وقلت لها :

– أرجو أن تتحسن حالتها بسرعة ..

قالت "**باتريدج**" : صحة الفتاة على ما يرام يا سيدي .. إنها تحس أن مشاعرها جرحت .. بسبب رسالة وصلتها فيها بعض التجريح ..

أدركت من نظرات "**باتريدج**" أنني المقصود بالغمز الوارد في الرسالة وتعجبت غاية العجب أن يقحمني مرسل الرسالة المجهول في علاقة بـ"**بياتريس**" وأنا شبه مقعد أسير مستعينا بعكازين ، وقلت مغتاظا :

– يا له من عبث !

– كانت تلك نفس الكلمات التي قلتها لأم الفتاة ..

وأصارحك القول يا سيدي إن صديق "**بياتريس**" الذي يعمل في الجراج سبق أن تلقى واحدة من تلك الرسائل الخبيثة .

وكان تصرفه غير حكيم بالمرة ..

وقلت لها غاضبا :

– لم أسمع بشيء بغيض كهذا طوال عمري ..

– هذا رأيي أيضا يا سيدي .. ولكن كما يقول المثل :

لا يوجد دخان بغير نار ..

خرجت في نفس الصباح ماشيا إلى القرية – أنا و"**جوانا**" نسميها قربة – وكانت الشمس ساطعة رغم برودة الهواء ، سرت مستعينا بالعكازين ورفضت أن تصحبني "**جوانا**" ..

وأخبرتها أنني ذاهب إلى مكتب المحامي بشأن مسألة قانونية تتعلق بتمويل بعض الأسهم ، ثم سوف أذهب إلى المخبز ثم أعيد كتابا سبق أن استعرته ، كما سأذهب إلى البنك .. وتم الاتفاق بيننا على أن تنتظرني بسيارتها لتعيدني إلى البيت وقت الغداء .. ولكنني لم أذهب إلى المدينة وحدي ، فلم أكد أسير مائة وثمانين مترا حتى سمعت صوت جرس دراجة خلفي ، ثم صوت الفرامل ، والتفت فرأيت "**ميجان هنتر**" تسقط مع دراجتها تحت قدمي ، وقالت الفتاة وهي تنفض التراب عن ثيابها :

– هالو !

شعرت بالميل نحو "**ميجان**" منذ رأيتها للمرة الأولى . كما أحسست بالشفقة نحوها .. وكانت "**ميجان**" ابنة زوجة المحامي "**سيمنجتون**" من زوجها الأول .. وكان الناس لا يتحدثون كثيرًا عن السيد أو الكابتن "**هنتر**" .. وسمعت أنه كان يعامل السيدة "**سيمنجتون**" معاملة سيئة وأنها طلقت منه بعد عامين من زواجهما .

ونظرا لأنها كانت على درجة من الثراء ، فقد صحبت ابنتها إلى هذه القرية حيث تزوجت من الرجل العزب الوحيد الذي يليق بها .. "**سيمنجتون**" .. لم تكن "**ميجان**" تشبه أمها فقد كانت الأم رقيقة إلى درجة مقبولة من الجمال . إلا أن صحتها معتلة وهي لا تفتأ تتحدث عن مشاكلها مع الخدم وصحتها المعتلة . بينما كانت "**ميجان**" تبدو دائما في ثياب رثة وجوربها الرخيص مملوء بالثقوب، ورغم أنها بلغت العشرين إلا أنها تبدو كطالبة مدارس في السادسة عشرة ، وقالت "**ميجان**" بلهجتها السريعة المعهودة :

– ذهبت إلى المزرعة لأشتري بعض البيض :

لديهم في المزرعة مجموعة كبيرة من الأغنام الصغيرة اللطيفة .. هل تتصور أنني أحب رائحة الأغنام الكريهة ؟

وقلت لها :

– ولكن الأغنام التي تلقى رعاية جيدة لا تصدر عنها رائحة كريهة ..

– أحقا ؟ كل الأغنام هنا لها رائحة كريهة .. رأيتك تمشي وحدك ففكرت في أن أقف لأمشي معك ، غير أني توقفت فجاة فسقطت ..

– لقد تمزق جوربك .

نظرت "**ميجان**" إلى ساقها اليمنى ثم قالت :

– كان في الجورب ثقبان قبل سقوطي .. لهذا ليس للأمر أهمية .

– ألا ترفين جوربيك يا "**ميجان**" ؟

– أحيانا .. عندما تلاحظ أمي تمزق جوربي ، ولكنها في الواقع لا تكاد تحس بوجودي .. وهذا من حسن حظي ، أليس كذلك ؟

– ألا تدركين أنك أصبحت شابة ؟

– هل تعني أنه يجب علي أن أبدو مثل أختك أرتدي ثيابا أنيقة وأصبغ وجهي كالدمية ؟

لم تعجبني كلماتها عن أختي ، وقلت لها :

– إنها تبدو نظيفة ومرتبة يسر العين أن تنظر إليها .

قالت "**ميجان**" مترددة :

– إنها رائعة الجمال .. إنها لا تشبهك قط .. ما السبب ؟

– لا يتشابه الأخ والأخت دائما ..

– كلا بالتأكيد .. أنا أيضا لا أشبه "**بريان**" أو "**كولين**" ، كما أن "**بريان**"

و"**كولين**" غير متشابهين .

سرنا صامتين دقيقة أو دقيقتين ، ثم قالت "**ميجان**" :

– أنت تطير .. أليس كذلك ؟

– بلى ..

– كان ذلك سبب إصابتك ..

– نعم .. تحطمت طائرتي ..

– لا أحد هنا يطير ..

– هل تحبين الطيران يا "**ميجان**" ؟

بدت الدهشة على وجهها وقالت :

– أنا ؟ يا إلهي ! . لا .. إنني أشعر بالمرض عندما أركب القطار .

سكتت برهة ثم سألتني عما إذا كنت سأشفى وأتمكن من الطيران مرة أخرى وقلت لها : إن الطبيب طمأنني إلى أنني سأشفى ، وقالت :

– هل هو من الطراز الذي اعتاد الأكاذيب ؟

– لا أظن .. إنني أثق به ..

– ولكن عدداً كبيراً من الناس مولع بالأكاذيب :

سألتني لماذا أغضب بسرعة ، وقلت لها : إنني أتعجل الشفاء ، وسألتها بدوري

– يا فتاتي العزيزة .. ألا تتوقين إلى وقوع الأحداث بسرعة ؟

ترددت "**ميجان**" برهة قبل أن تقول :

– كلا .. ولم أتعجل الأحداث ؟ لا شيء يحدث هنا بالمرة .

– كيف تستمتعين بحياتك هنا ؟

هزت كتفيها دون اكتراث وهي تقول :

– ما الشيء الموجود حتى أعمله ؟

– أليست لك هوايات ؟ ألا تمارسين بعض الألعاب ؟

أليس لك أصدقاء ؟

– لست بارعة في الألعاب ، ولا توجد فتيات كثيرات هنا ، والموجودات لا يعجبنني ، فهن يعتبرنني إنسانة فظيعة .

– هراء .. لماذا ؟

هزت "ميجان" رأسها ولم تجب ، وسألتها عما إذا كانت قد تعلمت في المدارس، وأخبرتني أنها عادت من المدرسة منذ عام ، وسألتها عما إذا كانت قد استمتعت بدراستها"، فقالت :

– لم تكن الدراسة سيئة .. رغم أنهم يعلموننا الأشياء بطريقة فظيعة ..

ماذا تعنين بذلك ؟

– حسن .. يعلمونك نتفا من الأشياء .. كانت مدرسة رخيصة والمدرسون غير قادرين على الرد على الأسئلة ..

أنا غبية بالتأكيد ، ولكن التاريخ على سبيل المثال .. لماذا ترى فيه اختلافات كثيرة بين كتاب وآخر ؟

– هذا الذي يعطي التاريخ أهميته الحقيقية .

– وقواعد اللغة .. وموضوعات الإنشاء الغبية .. وكل ذلك الهراء الذي كتبه "**شيللي**" و"**شكسبير**" ..

سألتها باهتمام :

– وماذا بشأن "**شكسبير**" ؟

– الطريقة التي يلوي بها الكلمات بشكل يصعب عليّ أن أفهم ما يقصده، ومع هذا فانا أحب بعض أعمال "**شكسبير**" .

– ألم تكن هناك مواد تحبينها ؟

– الحساب فقط .

وقلت بدهشة :

– الحساب ؟

أشرق وجه "**ميجان**" وهي تقول :

– أحببت الحساب رغم أنه يدرس بطريقة فظيعة ... كم أحب أن أتعلم الحساب بطريقة جيدة ، يخيل إليّ أنه توجد في الأرقام نفحة إلهية .. ألا تشاركني هذا الرأي ؟

قلت لها بصدق :

– لم أفكر في ذلك من قبل .

كنا قد اقتربنا من الشارع الرئيسي ، وقالت "**ميجان**" بحدة :

– هذه هي الآنسة "**جريفيث**" . المرأة الكريهة .

– ألا تحبينها ؟

– إنني أمقتها .. إنها تطاردني دائما لكي أنضم إلى المرشدات .. أنا أكره المرشدات .. لماذا أرتدي ذلك الزي وأضع الشارة لشيء لم أتعلمه جيدا .

كنت أتفق إلى حد ما في الرأي مع "**ميجان**" ، ولكن الآنسة "**جريفيث**" كانت قد انضمت إلينا قبل أن أجيب عن سؤال "**ميجان**" .

كانت "**إيمي جريفيث**" تتمتع بقدر كبير من الثقة بالنفس على خلاف أخيها الطبيب ، وكانت سيدة وسيمة طباعها أقرب إلى الرجال ذات صوت

دافئ عميق، وقالت بحرارة :

– مرحبا بكما .. يوم رائع .. أليس كذلك ؟ أنت يا "**ميجان**" الشخص الذي كنت أرغب في مقابلته ، أريد منك المساعدة في كتابة العناوين على ظروف بعض الرسائل الموجهة إلى جمعية المحافظين .

تمتمت "**ميجان**" ببعض كلمات غير واضحة ، وأسندت دراجتها إلى الرصيف وأسرعت إلى داخل أحد المخازن . وقالت الآنسة "**جريفيث**" :

– فتاة غريبة الأطوار .. كسلانة للغاية ، تقضي معظم أوقاتها في اللف والدوران .. لا شك في أنها عبء ثقيل على عاتق السيدة "**سيمنجتون**" ، أعرف أن أمها حاولت أكثر من مرة أن تشغلها بعمل نافع .. الاختزال أو الطباعة على الآلة الكاتبة أو تربية الأرانب .. هذه الفتاة في حاجة إلى شيء يشغلها ..

سكتت الآنسة "**جريفيث**" برهة ثم أردفت تقول :

– أنا لا أؤمن بحياة الكسل خصوصا بالنسبة للشباب .. خصوصا وأن "**ميجان**" ليست حسناء أو جذابة .. يخيل إليّ في بعض الأحيان أن هذه الفتاة نصف بلهاء . وهذا يكسر خاطر أمها .. كان أبوها رجلاً سيئا وأخشى أن تكون الفتاة قد ورثت بعض طباعه .

أطلقت "**إيمي جريفيث**" ضحكة مرحة وهي تقول :

– أنا لا أحب الكسل وأتمنى لكل إنسان أن يستمتع بالحياة .. أنا شخصيا أستمتع بحياتي وأرجو للجميع أن يفعلوا مثلي .. يقول لي البعض : إن الحياة في الريف مملة ولكنني لا أوافقهم على هذا الرأي .. فأنا مشغولة دائما وسعيدة على الدوام .. كل وقتي مشغول مع مرشداتي ، وفي الاجتماعات ،

فضلا عن رعايتي لـ "**أوين**" ..

شاهدت الآنسة "**جريفيث**" إحدى معارفها على الجانب الآخر من الطريق وحيتني مسرعة للقاء صديقتها .. كان يعجبني في "**إيمي جريفيث**" طاقتها وحيويتها ..

انتهيت من مهمتي في البنك ، وتوجهت إلى مكتب المحامي ، والتقيت بالسيد "**سيمنجتون**" لأعرض عليه المستندات التي أحضرتها ، أخذت أدرس السيد "**سيمنجتون**" بينما كان مشغولا في فحص الأوراق .. كان رجلا طويل العنق تبرز منه تفاحة آدم ، شاحب الوجه له أنف طويل ، رقيقا شديد الهدوء ، مما أوحى إليّ أن السيدة "**سيمنجتون**" تستمتع معه بحياة هادئة بعد زواجها الأول الفاشل ، وعندما فرغ المحامي من دراسة أوراقي وأبدى رأيه وقفت استعدادا للخروج ، وأخبرته أنني التقيت بابنة زوجته في الطريق ، قال لي بشرود :

– أ .. آه .. "**ميجان**" .. أنا أحاول أن أبحث لها عن عمل مناسب .. انتهت من دراستها منذ بعض الوقت .. وهي لا تزال صغيرة ولكنها متخلفة عن عمرها الحقيقي ..

هكذا يقولون لي ..

غادرت المكتب ووجدت في الغرفة الخارجية رجلا كهلا مشغولاً بالكتابة ، وغلامًا نحيلا ، وسيدة في منتصف العمر ذات شعر مجعد وتلبس نظارة مشبوكة بالأنف تكتب على الآلة الكاتبة ، ووافقت الدكتور "**جريفيث**" ، لو أن هذه هي الآنسة "**جنيشي**" فليس من المحتمل أن تكون هناك علاقة حب بينها وبين مخدومها .

ذهبت إلى المخبز واشتريت رغيفا طازجا ، ثم خرجت إلى الطريق لأبحث عن "**جوانا**" ، ولكنني لم أر لها أثرا ولا للسيارة ، وكان المشي قد أرهقني وأنا أحمل الرغيف وأستند إلى العكازين ، ووقعت عيناي فجأة على منظر لا يصدقه العقل . .

كانت تخطر على الرصيف شابة حسناء أقل ما توصف به أنها ملاك طائر!

كانت بشعرها الذهبي وتقاطيعها الجميلة صورة للجمال المثالي ، أحسست بأنفاسي تحتبس وأنا أنظر إليها وهي تزداد اقترابا مني ، وسقط الرغيف من يدي . وفي غمرة ارتباكي اختل توازني وكدت أقع على الأرض ، وأسرع الملاك إلى نجدتي وأسندتني بذراع قوية ، وقلت متلعثما :

– شكرًا جزيلاً . . أنا في غاية الأسف . .

انحنت الحسناء والتقطت الرغيف وناولته إياي باسمة . .

ثم قالت بجذل :

– لا داعي للأسف . . لم يحدث شيء . .

عند استماعي إلى الصوت . انطفأ فجأة السحر الذي استولى على مشاعري منذ قليل ، ولم أعد أرى أمامي سوى فتاة حسناء تتمتع بالصحة . . ولا أكثر من ذلك .

وجدت "**جوانا**" بجواري فجأة وأنا أتابع الحسناء بنظراتي ، وسألتها عما إذا كانت تعرف الفتاة ، وقالت "**جوانا**" :

– أهذه هي التي استولت على مشاعرك ؟ إنها لافتة للنظر ولكنها أشبه بالسمكة الميتة . .

فتحت لي "**جوانا**" باب السيارة وهي تقول :

– أليس من الغريب أن تبدو بعض الفتيات فاتنات المظهر ولكنهن محرومات من الجاذبية . . هذه الفتاة واحدة منهن .

- 3 -

ذهبنا بعد ظهر ذلك اليوم لتناول الشاي مع السيد "**باي**" وهو رجل ضئيل الحجم أكثر شبها بالنساء ، ، شديد الإعجاب بقطع الأثاث والتحف القديمة التي يضمها مسكنه المسمى "**بريور لودج**" الذي أقيم على الأرض التي كان يوجد فيها الدير القديم . . وكانت المتعة الرئيسية للسيد "**باي**" أن يطلع زواره على مقتنياته ، ويبدو بيته أشبه بالمتحف . .

أعربنا له عن إعجابنا بما يضمه البيت من تحف ، وأعرب السيد "**باي**" بدوره عن استيائه من أهل المنطقة الذين لا يستطيعون التمييز بين قطعة عصرية وأخرى عتيقة وقال :

– لماذا تعمى أبصار الناس إلى هذا الحد ؟ لعلكما توافقانني على أن الجمال هو الشيء الوحيد في الحياة الذي يستحق أن نعيش من أجله .

تحدث السيد "**باي**" بعد ذلك عن مسكن الآنسة "**بارتون**" الذي استأجرناه، وقال: إنه يضم بعض القطع ذات القيمة وإن كانت الآنسة "**بارتون**" لا تعرف قيمتها وتتركها في أماكنها دون عناية ، لمجرد أنها ورثتها عن أمها . .

التفت السيد "**باي**" نحوي موجها حديثه إلي قائلا :

– أنت لا تعرف قصة الأسرة جيداً . . عندما وصلت إلى هذا المكان كانت

الأم لا تزال على قيد الحياة .. شخصية خرافية .. وحشا حقيقيا .. تمتص دماء صغارها.. كانت شديدة الضخامة وبناتها الخمس يحطن بها دائما .. وكانت تقول عنهن دائما "البنات" في حين كانت كبراهن في الستين من عمرها.. وكانت تقول عنهن أحيانا "البنات الحمقاوات !"

كانت تستعبدهن ولا تستطيع إحداهن أن تبدي رأيا معارضًا لرأيها .. كانت تحكم عليهن بالنوم في الساعة العاشرة ولا تسمح بإيقاد نيران المدفأة في غرف النوم ، ولا تسمح لهن بدعوة أصدقائهن إلى البيت .

كانت تحتقرهن لأنهن لم يتزوجن رغم أن تربيتها لهن كانت تحول دون تعرفهن على أحد .. ماتت الأم بعد ذلك ولكن الوقت كان متأخرا ، واستمرت حياة البنات وهن يتحدثن عن الأم الراحلة همسا ، وماتت الواحدة بعد الأخرى .. قضت الإنفلونزا على "**أديث**" ، وماتت "**ميني**" على أثر عملية جراحية . وأصيبت "**مابل**" بأزمة وظلت "**إميلي**" تمرضها عشر سنوات قبل أن تموت .. وبقيت "**إميلي**" وحدها تواجه أزمة مالية من جراء انخفاض قيمة الأسهم .

وقالت "**جوانا**" :

– هذه مأساة محزنة .

بينما كنا نستعد للانصراف ، رأينا رسالة على الأرض ، وقال السيد "**باي**" :

– بريد بعد الظهر ..

وانحنى السيد "**باي**" ليلتقط الرسالة وهو يقول :

– لقد سعدت بزيارتكما التي أرجو أن تتكرر ..

شد على أيدينا بحرارة مودعا ، وساعدني على ركوب السيارة ، ولوحت له "**جوانا**" بيدها ، ولكن مضيفنا لم يرد على التحية وظل واقفا في مكانه ينظر إلى الرسالة بين يديه شاحب الوجه ، وادركت في تلك اللحظة أن الرسالة هي سبب اضطرابه ، ولكنني لم أتصور وقتها أنه تلقى واحدة من تلك الرسائل المجهولة ..

وقالت "**جوانا**" بقلق :

– من الذي يكتب تلك الرسائل ؟

هززت كتفي وأنا أقول :

– كيف لي أن أعرف ؟ أحد المجانين على ما أعتقد .

– ولكن ما الدافع ؟

– يجب أن تقرئي "فرويد ديونج" لكي تعرفي السبب .. أو أن تسألي الدكتور "**أوين**" .

قالت "**جوانا**" باستياء :

– الدكتور "**أوين**" لا يحبني .

– إنه لم يعرفك إلا منذ زمن وجيز .

– إنني أسألك بجد يا "**جيري**" .. لماذا يكتب الناس الرسائل الغفل من الإمضاء؟

– كما قلت لك الجنون .. أعتقد أنهم يفعلون ذلك إرضاء لرغبات دفينة .. عندما يحسون بتجاهل المجتمع لهم أو نتيجة اليأس أو الإحساس بالفراغ..

– هل تعتقد أنه شخص غير متعلم وغير مهذب ؟ مع تعليم افضل ....

لم تكمل "**جوانا**" الجملة ولم اقل شيئا . لانني لم أكن أؤمن قط أن

التعليم هو الدواء لكل داء ..

بينما كانت "**جوانا**" تقود السيارة ، رأيت مجموعة من النساء القرويات ، تساءلت وأنا أتابعهن بنظراتي :

هل تحمل واحدة منهن ذلك القدر الكبير من الحقد على الناس ؟ ورغم ذلك فلم أكن حتى تلك اللحظة آخذ الأمر على محمل الجد .

ذهبنا بعد يومين إلى بيت "**سيمنجتون**" للعب البريدج ، كان الوقت بعد ظهر يوم السبت حيث يكون مكتب المحامي في إجازة ، وكانت هناك مائدتان للعب ، ضمت قائمة اللاعبين السيد والسيدة "**سيمنجتون**" ، أنا و"**جوانا**" ، الآنسة "**جريفيث**" ، السيد "**باي**" ، الآنسة "**بارتون**" ، والعميد "**أبلتون**" الذي يقيم في قرية على بعد ستة كيلو مترات ونصف تقريبا ولم تسنح لنا فرصة الالتقاء به من قبل ، وهو في حوالي الستين من عمره ، واستلفتت "**جوانا**" نظره إلى درجة أنه لم يرفع بصره عنها طوال فترة بقائنا ..

كانت "**إيلزي هولاند**" تبحث عن بعض أوراق اللعب الإضافية وقت وصولنا، وهي مربية الأطفال بالمنزل ، ونظرت إليها نظرة عادية على خلاف ما حدث عندما رأيتها في الطريق لأول مرة ، ولكن الذي استلفت نظري هذه المرة أسنانها التي تشبه شواهد القبور وظهور لثتها عندما تفتح فمها في أثناء الضحك ..

توجهت الآنسة "**هولاند**" نحو السيدة "**سيمنجتون**" بالحديث قائلة :

– هل أطلب من "**أجنيس**" تقديم الشاي في الخامسة ؟

سوف آخذ الصغار إلى الحديقة حتى لا يتسببوا في إزعاجكم .

فكرت في أنها فتاة ذكية ، والتقت عيناي بعيني "**جوانا**" التي كانت

تضحك . لقد كانت تدرك دائما ما يجول بخاطري عليها اللعنة ..

اتخذنا أماكننا للعب ، وشغلت نفسي بدراسة طريقة لعب كل واحد من الموجودين ، واتضح لي أن السيدة "**سيمنجتون**" لاعبة ماهرة ، وأن زوجها شديد الحذر ، ثم ذهبنا إلى غرفة المائدة لتناول الشاي ، وفوجئنا بعد قليل بدخول ولدين صغيرين أخبرتنا السيدة "**سيمنجتون**" أنهما ابناها ، وأشرق وجه الأب وهو ينظر إلى ولديه باعتزاز ، ولاح لي شبح يقف في مدخل الشرفة ، وقالت الأم :

– أوه ... هذه "**ميجان**" .

كان صوتها يوحي بالدهشة كأنها نسيت وجود "**ميجان**" تماما ، وقالت :

– أخشى أن أقول لك إنني نسيت الشاي الخاص بك .. فقد خرجت المربية مع الأطفال .

أومأت "**ميجان**" برأسها وقالت إنها سوف تصب الشاي لنفسها في المطبخ، وانتظرت الأم خروجها قبل أن تقول :

ابنتي المسكينة "**ميجان**" .. إنها في السن الحرجة .. البنات يكن خجولات في هذه السن ..

وقالت "**جوانا**" معترضة :

– ولكنها في العشرين .. أليس كذلك ؟

قالت الأم في شيء من الارتباك :

– أوه .. نعم .. نعم ، ولكنها لاتزال طفلة .. أعتقد أن كل الأمهات يسعدهن أن تظل بناتهن أطفالا ..

شعرت في تلك اللحظة بالنفور من السيدة "**سيمنجتون**" وبدت لي امرأة أنانية ، واسترسلت الأم قائلة :

– اخشى أن أقول إنها ابنة صعبة .. حاولت أن أشغلها بشيء . أعتقد أنه يمكن تعلم بعض الأشياء بالمراسلة كالرسم والخياطة ، أو تعلم الاختزال والآلة الكاتبة .

احمر وجه "**جوانا**" من الغضب وقالت بانفعال :

– أعتقد أنك سوف تسمحين لها بحضور حفلات الرقص .

– لا يوجد لدينا شيء من هذا في مجتمعنا الريفي ..

– وما رأيك بالنسبة لممارسة ألعاب التنس ؟

– ملعب التنس الوحيد في المدينة مهجور منذ زمن طويل ..

بينما كانت "**جوانا**" تقود السيارة في طريق عودتنا إلى البيت .

قالت : إنني أشعر بأسف شديد نحو تلك الفتاة . لا أظن أن أمها تحبها .

وقلت لها :

– لا أظن الأمر على هذه الدرجة من السوء ..

– بل هذه هي الحقيقة .. كثير من الأمهات يكرهن بناتهن .. وأعتقد أن "**ميجان**" تعاني ذلك وهي على قدر كبير من الحساسية وضحكت "**جوانا**" فجأة وهي تقول :

– كنت سيئة الحظ مع المربية ! تمثال جميل ولكنها تخلو من الجاذبية .

تطرق الحديث بعد ذلك إلى "**بول**" ، وقالت إنها بعد وقت قصير سوف تنساه تماما بحيث لو سألها سائل عن "**بول**" لقالت : من "**بول**" هذا ؟

وقلت لها معابثا :

– لا يوجد في هذا المجتمع من يثير انتباهك سوى "**أوين جريفيث**" ، إلا إذا كنت تفكرين في العميد "**أبلتون**" الذي لم يرفع بصره عنك طوال فترة اللعب . . .

ضحكت "**جوانا**" عاليا ، ثم قالت :

– ربما كنت على حق بالنسبة لـ"**أوين**" .. وسوف يكون لعبتي .. لانني لا اتسامح مع شخص يلتقي بي في الطريق ويدير بصره إلى الناحية الأخرى . .

– دعيني أسدي إليك نصيحة يا "**جوانا**" .. ليس "**أوين جريفيث**" من ذلك الطراز الذي تعرفينه من الشباب العابثين . وما لم تكوني حذرة معه فقد تتعرضين إلى خطر جسيم ..

– أوه . . أهذا هو رأيك ؟

قلت لها بصرامة :

– دعي ذلك الشيطان البائس وشأنه .

– كيف يراني ويعرض عني بتلك الصورة المزرية ؟

– أنتن جميع النساء سواء . سوف تكتسبين عداوة "**إيمي**" أيضا . .

وقالت "**جوانا**" بامتعاض :

– إنها تكرهني بالفعل .

قلت لها بحزم :

– لقد جئنا إلى هذا المكان ننشد السلام والهدوء ، وأنا مصر على تحقيق هذا الهدف . .

ولكن السلام والهدوء كانا أبعد شيء قدر لنا أن نلقاه . .

- 4 -

بعد حوالي الأسبوع ، أخطرتني "باتريرج" أن السيدة "**بيكر**" ترغب في مقابلتي، وعلمت أن السيدة "**بيكر**" هي أم "**بياتريس**" ، وكنت قد نسيت كل شيء عن "**بياتريس**" ..

كانت السيدة "**بيكر**" سيدة في منتصف العمر وخط المشيب رأسها ، وخيل إلي في البداية أنها جاءت لتتهمني بغواية ابنتها ، ولكنها قالت :

– أرجو أن تغفر لي يا سيدي سماحي لنفسي بالمجيء إليك ، ولكنني رأيت أنك الشخص المناسب لمساعدتي ..

واكون شاكرة لو نصحتني بما ينبغي عليّ أن أفعله في الظروف الراهنة ، لأنه يجب عمل شيء .. "

وقلت لها بارتباك :

– أ .. هلا .. تفضلي بالجلوس يا سيدة "**بيكر**" ؟

قالت بعد جلوسها :

– شكرا لك ياسيدي .. قلت لـ"**بياتريس**" التي كانت تبكي بحرارة : إن السيد "**بيرتون**" سوف يعرف ما ينبغي الإقدام عليه من عمل ، لأن الشبان ينفعلون بسرعة ويرفضون الاستماع إلى نداء العقل ..

– أنا آسف ، ولكنني لست أفهم ما تقصدين .. ما الذي حدث ؟

– إنها الرسائل المجهولة يا سيدي .. تلك الرسائل الشريرة .. وكلماتها البذيئة ..

– هل تلقت ابنتك المزيد من تلك الرسائل ؟

– لا يا سيدي .. لم يصلها غير تلك الرسالة .. الرسالة التي دفعتها إلى

ترك العمل هنا .

– لم يكن هناك ما يستوجب .

قاطعتني السيدة "**بيكر**" قائلة :

– لا داعي لأن تخبرني يا سيدي ، فالذي جاء في الرسالة كان مجرد أكاذيب حقيرة ، فأنت إنسان مهذب وفوق ذلك فأنت مريض ، ورغم هذا فقد وافقت "**بياتريس**" عندما قررت ترك العمل ، لأنك تعرف يا سيدي نتيجة الكلام .. لا يوجد دخان بغير نار .. هذا ما يقوله الناس .. وظننت أن هذه الخطوة سوف تضع حدا للشائعات ، ولكن الموضوع الآن يتعلق بـ"**جورج**" .. صديق "**بياتريس**" الذي يعمل في الجراج .. لقد وصلته واحدة من تلك الرسائل تقول أشياء فظيعة عن "**بياتريس**" وكيف أنها على علاقة بابن "**فريد ليدبيتر**" . وأؤكد لك يا سيدي كذب هذا الادعاء ..

– تعنين أن الرسالة التي وصلت صديق "**بياتريس**" تتهمها بالارتباط برجل آخر ؟

– نعم يا سيدي .. وثار غضب "**جورج**" وصرخ في وجه ابنتي قائلا إنه لا يسمح لفتاته بمصادقة شاب آخر من وراء ظهره .. قالت "**بياتريس**" : إن ذلك ادعاء كاذب ولكنه قال : لا يوجد دخان بغير نار ، وغادر البيت غاضبا .. وقلت لابنتي : إنني سوف آتي إليك وسألتها :

– ولماذا تأتين إليّ ؟

– لأنني علمت أنك تلقيت واحدة من تلك الرسائل وحيث إنك سيد مهذب من "**لندن**" . فلابد أنك تعرف كيف نتصرف في مثل هذا الوضع .

– لو أنني كنت مكانك لذهبت إلى الشرطة ..

– الشرطة ؟! كلا يا سيدي .. أنا لم أتعامل قط مع الشرطة .. لا أحد منا فعل ذلك ..

– ولكن رجال الشرطة هم الوحيدون القادرون على علاج هذه المشكلة .

اعترضت السيدة "**بيكر**" بشدة وهي تنظر إليّ غير مصدقة أن هذا هو الحل الوحيد، وعندما أكدت لها أن هذا هو رأيي قالت في ضيق :

– يجب وقف هذه الرسائل يا سيدي .. سوف تقع أضرار بالغة ما لم توقف هذه الرسائل .

– يبدو لي أن الأضرار قد وقعت بالفعل .

– كنت أعني العنف يا سيدي . هؤلاء الشبان يلجؤون إلى العنف عندما يفقدون أعصابهم .. كذلك المسنون وسألتها عما إذا كان عدد الرسائل المجهولة يزيد ، فقالت :

– إن الأمر يزداد سوءا يا سيدي . كان السيد والسيدة "**بيدل**" زوجين سعيدين .. وهما يفكران الآن في أشياء كريهة ..

– هل لديك فكرة يا سيدة "**بيكر**" عن الشخص الذي يكتب هذه الرسائل؟

رغم أنني لم أكن أتصور أن تذكر اسما بعينه ، إلا أنها قالت على الفور :

– نعم .. إنها السيدة "**كليت**" .. هذا ما يعتقده الجميع .. إنها السيدة "**كليت**" بكل تأكيد .

وعندما سألتها عمن تكون السيدة "**كليت**" ، أخبرتني أنها زوجة بستاني تعيش في كوخ بالقرب من المطحن . ولم تلق بقية أسئلتي إجابات مقنعة ، وعندما كررت نصحي بالالتجاء إلى الشرطة أعربت السيدة "**بيكر**" عن

استيائها وخرجت غير راضية .

فكرت فيما قالته السيدة "**بيكر**" ، وقررت أنه طالما أجمع أهل القرية على أن السيدة "**كليت**" هي كاتبة الرسائل فلابد أن يكون الاتهام صحيحا ، وقررت أن أذهب إلى عيادة الدكتور "**جريفيث**" لأعرض الأمر عليه ، وعندما حدثت الطبيب عن سبب زيارتي قال :

– ليس الأمر بالسهولة التي تتخيلها .

– ألا تعتقد أنها السيدة "**كليت**"

– قد تكون مرسلة الرسائل .. ولكنني أستبعد هذا الاحتمال .

– ولماذا يجمع أهل القرية على اتهامها ؟

ابتسم الدكتور "**جريفيث**" ثم قال :

– أوه .. أنت لا تفهم . السيدة "**كليت**" هي الساحر المحلي .. قد يبدو هذا غريبا اليوم .. هناك اعتقاد في الريف بأن بعض الأشخاص يمتلكون قدرات خاصة .

وأنهم قادرون على إلحاق الأذى بالآخرين ، ومن ثم يتودد الناس إليهم تجنبًا لشرهم .. والسيدة "**كليت**" واحدة من هؤلاء .. ومن ثم يعتقدون أنها وراء إرسال هذه الرسائل .

– ولكنك لا ترى أنها الفاعل ؟

– كلا .. ليست هي . ليس الأمر بهذه السهولة . قلت له بفضول :

– هل لديك فكرة عن الفاعل ؟ هز الطبيب رأسه وهو شارد اللب ثم قال :

– لا .. ولكنني لا أحب هذه اللعبة يا "**بيرتون**" لأنه سوف يقع شر جسيم ..

عندما عدت إلى البيت وجدت "**ميجان**" جالسة على درجات سلم الشرفة، وحيتني بطريقتها الباردة ، ثم قالت :

– هل تعتقد أنني أستطيع تناول الغداء معكما وقلت لها : بالتأكيد ..

طلبت من "**باتريدج**" أن تعد طعاما لثلاثة أشخاص ، ثم عرضت سيجارة على "**ميجان**" التي احمر وجهها وقالت :

– هذا لطف منك ..

– ألن تأخذي سيجارة ؟

– كلا .. ولكنها كانت لفتة لطيفة من جانبك أن تعرض عليّ سيجارة . كما لو أنني كنت إنسانا حقيقيا .

– ألست إنسانا بالفعل ؟

هزت "**ميجان**" رأسها وغيرت موضوع الحديث قائلة : إنها أصلحت جوربها ، وسألتني عما تفعله أختي عندما تجد ثقبا في جوربها ، وقلت لها إن "**جوانا**" ترمي الجورب المثقوب وتشتري واحداً جديداً .

وقالت "**ميجان**" :

– هذا تصرف عاقل ، ولكنني لا أستطيع أن أفعل ذلك ، لأنني أحصل على راتب لا يزيد على أربعين جنيها في السنة .

هززت رأسي موافقا : وبادرتني "**ميجان**" فجأة قائلة بعنف :

– أعتقد أنك تعتبرني فظيعة مثل الآخرين ؟

فوجئت بالسؤال وفتحت فمي دهشا وسقط الغليون من يدي على الأرض وتحطم، فقلت لها :

– هل رأيت ما فعلته ؟ وماذا كنت تقولين قبل وقوع الكارثة ؟

– كنت أقول : أعتقد أنك تعتبرني فظيعة ..

– ولماذا يساورك هذا الاعتقاد ؟

قالت بأسى :

– لأنني كذلك بالفعل .

قلت لها بحدة :

– لا تكوني غبية .

هزت رأسها ثم قالت :

– إنني لست غبية بالفعل وإن كان الناس يرون ذلك ..

إنهم لا يعرفون أنني في أعماق نفسي أعرف حقيقة باطنهم ، وأنني أكرههم أشد الكره .

– تكرهينهم ؟

– كلا ..

التمعت عيناها ببريق جنوني ثم أردفت تقول :

– لو كنت مثلي لشعرت بالكراهية نحوهم .. لو أنك أحسست أنك إنسان غير مرغوب فيه .

– ألم تفكري في أنك مريضة ؟

– كلا .. هذا ما يقوله الناس دائما عندما تقول لهم الحقيقة .. وهو صحيح إنني غير مرغوب فيها وأعرف السبب .. أمي لا تحبني قط . أعتقد أنني أذكرها بأبي الذي كان يعاملها بقسوة .. وهي لا تفكر إلا في نفسها وزوجها وولديها ..

قلت لها ببطء :

– لا أزال أعتقد أنك مريضة يا "**ميجان**" ، وإذا سلمت بأن بعض ما تقولينه صحيح ، فلماذا لا ترحلين وتعيشين حياتك كما تشائين ؟

ابتسمت ابتسامة طفولية وقالت :

– تعني أن أعمل لأكسب قوتي ؟ أي عمل أزاوله ؟

– الاختزال .. الكتابة على الآلة الكاتبة .. مسك الدفاتر ..

– لا أعتقد أنني أستطيع ذلك .. إنني غبية في مثل هذه الأشياء .. ولماذا أرحل؟ لماذا يرغمني أحد على الرحيل ؟ سوف أبقى لأسبب الندم للجميع .سوف أجعلهم يندمون .. الأغنام الكريهة .. إنني أمقت كل إنسان في "**ليمستوك**" ، وسوف أريهم .... سوف ...

كان غضبا صبيانيا ، وسمعت وقع أقدام تقترب ، وطلبت من "**ميجان**" أن تذهب إلى الحمام لتغسل وجهها بسرعة ، وأسرعت "**ميجان**" إلى الحمام ، وكانت "**جوانا**" هي القادمة وأخبرتها أن "**ميجان**" تغتسل في الحمام . وأنها ستبقى معنا على الغداء ، وعندما ظهرت "**ميجان**" قالت لها "**جوانا**" :

– هالو ! أنا سعيدة لأنك ستتناولين الغداء معنا . شبكت "**جوانا**" ذراعها بذراع "**ميجان**" ، ودخلا معا ..

- 5 -

أرى أنني أغفلت في قصتي ذكر أي شيء عن القس "**كاليب دين كالثروب**" وزوجته السيدة "**دين كالثروب**" ، رغم أنهما من الشخصيات المهمة ، أما بالنسبة للقس فهو مستغرق في أبحاثه ودراساته لتاريخ الكنيسة، وبالنسبة لزوجته فهي شخصية مرهوبة من الجميع ، رغم أنها ترقب الأمور

من بعد ولا تتدخل بأي صورة فيما يجري حولها من الأمور الدنيوية ..

وقد التقيت بالسيدة "**كالثروب**" في الشارع الرئيسي في اليوم التالي لزيارة "**ميجان**" لنا ، وقالت السيدة "**كالثروب**" :

– كنت أريد أن أتحدث معك حول تلك الرسائل المجهولة .. ما تلك القصة التي جئت بها إلى هذا المكان عن الرسائل المجهولة ؟

– إنني لم آت بها .. لقد كانت موجودة بالفعل .

– لم يتلق أحد واحدة منها قبل مجيئك .

– بل تلقى بعضهم رسائل قبل قدومي .. كانت المشكلة قد بدأت بالفعل.

وقالت السيدة "**كالثروب**" بقلق :

– يا إلهي ! . لا أحب هذا الشيء .. ليست هذه طباعنا .. حقيقة يوجد في مجتمعنا الحسد والشر .. ولكنني لا أعتقد أنه يوجد بيننا من يكتب هذه الرسائل المجهولة .. وهذا ما يحزنني لأنه كان ينبغي لي أن أعرف .

وسألتها :

وكيف لك أن تعرفي ؟

– أنا في العادة أعرف كل شيء ... كنت أحس دائما أن هذه هي وظيفتي، فزوجي يلقي مواعظ جيدة وعلى زوجته أن تعرف كيف يحس الناس وكيف يفكرون ، حتى ولو لم يكن في مقدورها أن تفعل شيئا ، وليست لدي أية فكرة عن ذلك العقل الذي .. توقفت عن إكمال جملتها برهة ثم أردفت تقول :

– وهي بالإضافة إلى ذلك رسائل سخيفة .

– هل تلقيت واحدة من تلك الرسائل ؟

– نعم .. تلقيت رسالتين .. بل ثلاثا ، نسيت كلماتها على وجه التحديد، ولكنها كانت تتحدث عن علاقة تربط بين زوجي وناظرة المدرسة .. سخافة مطلقة. لأن زوجي أبعد الناس عن ارتكاب الإثم ..

غيرت السيدة "**كالثروب**" دفة الحديث وعادت تتحدث عن الخطابات المجهولة قائلة:

– توجد أشياء كثيرة كان يجب على تلك الرسائل أن تتعرض لها ، ولكن الشيء الغريب أنها تتجاهلها .

– ماذا تعنين بقولك هذا ؟

– تقع كثير من جرائم الزنا هنا – وغيرها من الآثام ..

– لماذا لا يتحدث كاتب الرسائل عنها ؟

ترددت برهة قبل أن تقول :

– ما الذي جاء في الرسالة الموجهة إليك ؟

– إن أختي ليست أختي ..

– وهل هي أختك حقا ؟

– بكل تاكيد "**جوانا**" أختي ..

– لعل هذا يعطيك فكرة عما أعنيه .. أستطيع أن أقول لك إن هناك أشياء أخرى.

ركزت نظراتها على وجهي ، وفهمت فجأة لماذا يخاف أهل "**ليمستوك**" السيدة "**دين كالثروب**" .. توجد في أعماق كل شخص منا أسرار دفينة يجب ألا يعرفها غيره .

وداخلني إحساس أن السيدة "**كالثروب**" تعرفها .

لأول مرة في حياتي أحسست بفرحة غامرة عندما سمعت صوت "**إيمي جريفيث**" يرتفع قائلا بحرارة :

– هالوا "**مود**" .. أنا سعيدة لأنني رأيتك لأقترح عليك تعديل موعد بدء الأعمال . . صباح الخير يا سيد "**بيرتون**" . لقد طلبت طلباتي من البدال وسوف أذهب لتسلمها وأعود لألتقي بك في المعهد . هل يناسبك ذلك ؟

وقالت السيدة "**كالثروب**" .

– نعم .. نعم .. هذا يناسبني تماما ..

انصرفت "**إيمي جريفيث**" وقالت السيدة "**دين كالثروب**"

– الشيء البائس ..

شعرت بالحيرة ، فلا يمكن أن تكون قد قصدت "**إيمي**" بذلك ، واستطردت تقول:

– أنت تعرف يا سيد "**بيرتون**" .. أنني خائفة ....

– من تلك الرسائل المجهولة ؟

– نعم .. إنه الحقد الأعمى .. ما الذي يمكن أن يحدث بعد هذا يا سيد "**بيرتون**" ؟

كان علينا أن نعرف الرد على ذلك السؤال بعد مرور يوم آخر ..

كانت "**باتريدج**" هي التي حملت إلينا أنباء المأساة .

دخلت غرفة "**جوانا**" في الصباح قبل أن تفيق من نومها تماما قائلة :

– شيء فظيع ! لم أصدق عندما سمعت الأنباء !

وسألتها "**جوانا**" وهي تتثاءب :

– ما ذلك الشيء الفظيع ؟

– السيدة "**سيمنجتون**" المسكينة .. ماتت !

قفزت "**جوانا**" من سريرها قائلة بانفعال :

– ماتت ؟

– نعم .. بعد ظهر الأمس ، وأسوأ ما في الأمر أنها انتحرت .

أكملت "**باتريدج**" قصتها قائلة إن السيدة "**سيمنجتون**" التعيسة اندفعت إلى ذلك مضطرة عندما تلقت واحدة من تلك الرسائل الكريهة ، إلا أنها لم تعرف مضمون الرسالة ، وجاءت "**جوانا**" تقص عليّ النبأ ..

تذكرت ما قاله "**أوين جريفيث**" . وتحقق ما كان يخشاه الطبيب وكانت الضحية هي السيدة "**سيمنجتون**" التعيسة ،

سألتني "**جوانا**" عمّا يشغل تفكيري ، وأخبرتها بما قاله "**أوين**" ، وقالت "**جوانا**" .

– لا شك أنه يعرف كل التفاصيل .. ذلك الرجل يظن أنه يعرف كل شيء .

– إنه ذكي .

– بل هو مغرور .. شديد الغرور .

قالت "**جوانا**" بعد برهة :

– يا له من شيء أليم بالنسبة للزوج !. ما وقع الحادث في رأيك على "**ميجان**" ؟

قلت :

ليست لدي أي فكرة .. فالإنسان لا يمكن أن يخمن كيف تفكر "**ميجان**" أو تشعر ..

وقالت "**جوانا**" بعد قليل :

– هل تعتقد أنها تحب البقاء معنا مدة يوم أو يومين ؟ لا شك أنها صدمة شديدة بالنسبة إلى فتاة في سنها ..

– نستطيع أن نذهب إليها ونعرض عليها الأمر .

– لا شك أن الولدين بخير لأن المربية معهما ، ولكن هذه المربية يمكن أن تدفع "**ميجان**" إلى الجنون .

فكرت في أن هذا أمر محتمل خاصة بالنسبة إلى فتاة حساسة مثل "**ميجان**" .. خطرت ببالي فكرة إحضار "**ميجان**" لتعيش معنا بعض الوقت ، وأسعدني أن تكون المبادرة من جانب "**جوانا**" .

ذهبنا معا بعد الفطور إلى بيت "**سيمنجتون**" ونحن نشعر بالحرج في مثل هذه الظروف ، ولحسن حظنا التقينا بالدكتور "**أوين جريفيث**" على باب البيت ، وحيانا بحرارة قائلا :

– هالو "**بيرتون**" .. أنا سعيد لرؤيتك . ما كنت أخشى وقوعه إن عاجلا أو آجلا قد حدث ..

وقالت "**جوانا**" :

صباح الخير يا دكتور "**جريفيث**" ..

احمر وجه الطبيب وقال لها :

– أوه .. صباح الخير يا آنسة "**بيرتون**" .

قالت "**جوانا**" :

– ظننت أنك لم ترني .

ازداد احمرار وجه الطبيب وقال :

– أ .. أنا آسف . كنت مشغول البال .

تدخلت في الحديث قائلا :

– جئنا أنا وأختي بغرض اصطحاب **"ميجان"** معنا لتقضي معنا يوما أو يومين .. ما رأيك ؟ وكيف يكون شعور **"سيمنجتون"** إزاء هذا العرض ؟

التزم الطبيب الصمت برهة مفكرا ، ثم قال :

– أعتقد أنها فكرة ممتازة .. تلك الفتاة غريبة الأطوار وربما كان من المفيد إبعادها عن البيت في الظروف الراهنة .. فرغم أن الآنسة **"هولاند"** تقوم برعاية الولدين والأب . إلا أن السيد **"سيمنجتون"** في حالة يرثى لها .

قلت له بتردد :

– كان انتحارا ؟

أومأ **"جريفيث"** برأسه قائلا :

– أوه .. نعم .. لا شك في ذلك .. فقد تركت رسالة تقول فيها .. لا أستطيع الاستمرار .. ويبدو أن الرسالة وصلتها في بريد الأمس .. وقد عثرنا على الرسالة مكورة وملقاة في المدفأة .

وعندما سألته عن مضمون الرسالة قال :

– سوف تتم قراءة الرسالة في التحقيق ،، لا مفر من ذلك .. كانت الرسالة من نفس النوع البذيء .. وكان الاتهام الرئيسي الوارد فيها أن **"كولين"** الابن الثاني ليس من نسل **"سيمنجتون"**

وقلت له بدهشة :

– هل تعتقد أن هذا الاتهام صحيح ؟

– لا أستطيع أن أصدر حكما بذلك .. لقد جئت إلى هذا المكان منذ

خمس سنوات ، والذي أستطيع أن أؤكده أن الزوجين كانا سعيدين ومولعين بولديهما صحيح أن الابن الثاني لا يشبه أبويه ، فهو أحمر الشعر ، ولكن هذه صفة وراثية قد تكون موروثة عن الجد أو الجدة .

وقالت **"جوانا"** بارتياب :

– هل كانت السيدة **"سيمنجتون"** تقتل نفسها لو أن الاتهام لم يكن صحيحا ؟

قال دكتور **"جريفيث"** :

– لست متأكدا من ذلك .. كانت تعاني اعتلال صحتها منذ بعض الوقت، وكنت أعالجها من مرض عصبي . من المحتمل أنها صدمت عندما تلقت تلك الرسالة ، ولم تتحمل أعصابها الصدمة فاقدمت على الانتحار ربما فكرت في أن زوجها لن يصدقها وفقدت اتزان عقلها .. قالت **"جوانا"** :

– تعني أن الانتحار كان في لحظة خلل للتوازن العقلي ؟

– تماما .. وهذا ما سوف أقوله في التحقيق .

تحرك الطبيب ببطء نحو الشارع ، ووجدنا الباب الامامي مفتوحا لحسن الحظ ، وسمعنا صوت الآنسة **"إيلزي هولاند"** من الداخل وهي تقول :

– كلا يا سيد **"سيمنجتون"** .. أنت لم تتناول طعاما منذ العشاء .. يجب أن تأكل شيئا حتى تسترد قوتك ..

لقد قال الطبيب ذلك قبل انصرافه ..

وسمعنا صوت السيد **"سيمنجتون"** يرد عليها قائلا بضعف :

– أنت عطوف للغاية يا آنسة **"هولاند"** ولكن ...

– ما رأيك في فنجان شاي ساخن ؟

قبل السيد "**سيمنجتون**" وقال للمربية :

– لا أستطيع أن أوفيك حقك من الشكر على كل ما تفعلينه يا آنسة "**هولاند**" ، لقد كنت رائعة ..

احمر وجه الفتاة مسرورة قائلة :

– لطف منك أن تقول هذا يا سيد "**سيمنجتون**" .. يجب أن تسمح لي بتقديم كل ما أستطيع من المساعدة .. لا تقلق على الأطفال ، وقد هدأت من روع الخدم ، وأنا على استعداد لتقديم أي مساعدة ممكنة .. كتابة الرسائل أو إجراء الاتصالات التلفونية ..

كرر السيد "**سيمنجتون**" قوله :

– أنت عطوف للغاية ..

بينما كانت "**إيلزي هولاند**" تستدير لمحتنا واتجهت نحونا في الصالة مسرعة وقالت بصوت هامس :

– أليس أمرا فظيعا ؟

فكرت وأنا أنظر إليها أنها فتاة لطيفة حقا ، ومفيدة وقت الأزمات ،وكانت عيناها محمرتين من أثر البكاء حزنا على مخدومتها ، وسألتها "**جوانا**" عما إذا كنا نستطيع التحدث معها دون أن نزعج السيد "**سيمنجتون**" وقادتنا "**إيلزي هولاند**" إلى غرفة المائدة ، ثم قالت :

– كانت صدمة أليمة له .. من كان يتصور أن شيئا كهذا يمكن أن يحدث؟ ولكنني أعرف أن أحوالها كانت غريبة في الفترة الأخيرة .. كانت عصبية كثيرة البكاء وكنت أتخيل أن سبب ذلك اعتلال صحتها رغم أن الدكتور "**جريفيث**" كان يؤكد دائما أنها بخير ، وكانت تبدو في بعض

الأيام شديدة العصبية بحيث يصعب التعامل معها .

أخبرتها "**جوانا**" عن سبب زيارتنا ، وقالت "**إيلزي**" :

– "**ميجان**" ؟ لا أدري .. هذا لطف زائد من جانبكم .. ولكن هذه الفتاة غريبة الأطوار .

قالت "**جوانا**" :

– في اعتقادنا أن هذا ربما ساعد الفتاة ..

– أعتقد أنه سيساعدها .. لدي الأطفال والسيد "**سيمنجتون**" لأرعى شؤونهم ، ولم يكن لدي في الواقع من الوقت ما يسمح لي بالعناية بالفتاة ، أعتقد أنها موجودة الآن في غرفة الأطفال القديمة ، يبدو أنها تريد الهرب من الجميع ..

أومأت إلي "**جوانا**" برأسها ، وأسرعت إلى الطابق العلوي ، وفتحت باب الغرفة التي تختبئ فيها "**ميجان**" ورأيتها جالسة القرفصاء على أريكة مسنودة على الحائط ، وذكرني منظرها بحيوان جريح يختفي عن الأنظار وعندما ناديتها أدارت رأسها نحوي دون أن تتحرك من مكانها ، وقلت لها :

– "**ميجان**" .. جئت مع "**جوانا**" لنعرض عليك البقاء معنا بعض الوقت..

قالت بصوت أجوف :

– أبقى معكما ؟ في البيت ؟

– نعم ..

– تعني أنكما سوف تأخذانني من هنا ؟

– نعم يا عزيزتي ..

بدأت ترتجف فجأة وهي تقول :

- أوه .. أرجو أن تبعداني عن هذا المكان ..

إنه فظيع . إنه مكان شرير .

اقتربت منها وقبضت على كم سترتي بعنف قائلة :

- أنا جبانة .. لم أكن أعرف انني جبانة إلى هذا الحد .

- تعالي معي .. هذه الأشياء تسبب الفزع ..

- هل تستطيع أن تذهب في الحال ؟

- حسن .. أعتقد أنه يتحتم عليك ان تأخذي معك بعض الأشياء .

- أي نوع من الأشياء ؟ ولماذا؟

- يا فتاتي العزيزة .. تستطيع أن تمنحك سريرا وحماما ولكنني لا استطيع ان أعيرك فرشاة اسناني ..

ضحكت ضحكة واهية ثم قالت :

- فهمت .. أعتقد أنني غبية اليوم .. سوف احزم بعض الأشياء .. أنت .. لن تنصرف ؟ هل ستنتظرني ؟

- بكل تأكيد ..

- شكرا .. شكرا جزيلا . أنا آسفة لغبائي ، ولكنه شيء فظيع فقدان الأم .

غادرت الحجرة وأخبرت "**جوانا**" أن "**ميجان**" قادمة ..

وأعربت "**إيلزي هولاند**" عن ارتياحها ثم قالت :

- إنها فتاة صعبة . وأرجو ألا تسبب لك بعض الإزعاج يا آنسة "**بيرتون**" .. أوه يا إلهي ! . هذا جرس التلفون ، يجب أن أرد عليه لأن السيد "**سيمنجتون**" في حالة يرثى لها .

غادرت الحجرة مسرعة ، وقلت لـ"**جوانا**" إنها ملاك وقادرة على معالجة الموقف ، وقالت "**جوانا**" :

- أما أنا فلست مرتاحة لها .. لا يعجبني الشخص الذي يظهر الاعتزاز بنفسه على هذا النحو .. كيف وجدت "**ميجان**" ؟

- كانت تجلس القرفصاء على الأريكة في الظلام مثل الحيوان الجريح .

- يا للفتاة المسكينة ! هل رحبت بالذهاب معنا ؟

- كل الترحيب .

سمعنا وقع قدمي ، "**ميجان**" وهي مقبلة نحونا ، وجاءت تحمل حقيبة صغيرة وساعدتها في الركوب ، وذهبنا إلى البيت . ارتمت "**ميجان**" فوق أحد المقاعد وانخرطت في بكاء حار كالطفل الصغير ، وغادرت الغرفة بحثا عن دواء لها بينما وقفت "**جوانا**" أمامها حائرة .. وسمعت صوت "**ميجان**" تقول من خلال البكاء :

- أنا آسفة لما فعلته .. كان غباء مني .

وقالت لها "**جوانا**" برقة :

- خذي منديلا آخر ..

عدت إلى الغرفة حاملا كأسا قدمتها إلى "**ميجان**" طالبا منها أن تشربها ، وعندما سألتني عن محتوياتها قلت .

- كوكتيل !

وقالت باستغراب :

- أهو كوكتيل حقيقي ؟ لم أشرب الكوكتيل في حياتي ..

انخرطت في البكاء من جديد وقلت لها :

– لكل شيء بداية ..

تجرعت "**ميجان**" كأسها على مهل ثم افتر ثغرها عن ابتسامة مشرقة وقالت :

– رائع .. هل أستطيع أن أشرب كأسا أخرى ؟

وعندما رفضت وسألتني عن السبب قلت :

– من المحتمل أن تعرفي الرد بعد عشر دقائق .. حولت "**ميجان**" انتباهها نحو "**جوانا**" وقالت لها :

– آسفة لظهوري بهذا المظهر الصبياني . وتبدو حماقة مني أن أعبر عن بالغ سروري لوجودي هنا .

– نحن سعيدان لأنك معنا .

– لا يمكن أن يكون الأمر كذلك ، إنها مجرد شفقة من جانبكما ، وأنا شاكرة لكما ..

– لا داعي للشكر لأن ذلك سوف يربكني .. كنت أقول الحقيقة عندما قلت لك إننا سعيدان بوجودك بيننا ..

وقلت لـ "**ميجان**" إن الفرصة سوف تتاح لنا لمناقشة أدب "**شكسبير**" وغيره من الموضوعات التي تهمها ، وسألت "**ميجان**" عن شعورها بعد الكأس التي شربتها فقالت :

– في أحسن حال .. شكرا لك ؟

– ألا تشعرين بالدوار ؟ ألا ترين "**جوانا**" شخصين أو شيئا من هذا القبيل؟

– كلا . كل ما أشعر به هو أنني أريد أن أتحدث وأتحدث .

– رائع .. من الواضح أنك من الأشخاص الذين خلقوا يحبون الشراب بطبيعتهم .. هذا إذا كنت تقولين الحقيقة عندما ذكرت أن هذه أول كأس لك .

– أوه .. إنها الأولى ..

– الرأس المتزن القوي من مزايا الإنسان ..

- 6 -

عقدت جلسة التحقيق بعد ثلاثة أيام ، وقيل إن الوفاة حدثت بين الساعة الثالثة والرابعة ، وكانت السيدة "**سيمنجتون**" وحدها في البيت ، حيث كان يوم راحة الخدم ، وكان زوجها في مكتبه ، بينما خرجت "**إيلزي هولاند**" مع الولدين، وخرجت "**ميجان**" في نزهة على دراجتها .

ولابد أن تكون الرسالة قد وصلتها في بريد بعد الظهر ، وعندما قرأت الرسالة اضطربت وذهبت إلى حظيرة الدجاج حيث يوجد بعض السيانيد المخصص للقضاء على أعشاش الزنابير ، وأذابت بعض السيانيد في الماء وشربته بعد أن كتبت كلمات مضطربة : لا أستطيع الاستمرار ..

قرر الدكتور "**جريفيث**" أن السيدة "**سيمنجتون**" انتحرت في لحظة اضطراب عقلي مفاجئ ، وأدان وكيل النيابة العمل الذي يرتكبه كاتب الرسائل المجهولة ووجه إلى مرتكبه جريمة القتل ،وأعرب عن أمله في أن تهتدي الشرطة إلى الفاعل لتقديمه للمحاكمة . وقرر المحلفون أن السيدة "**سيمنجتون**" انتحرت في لحظة جنون مؤقت ، وخرج الحاضرون وهم يتهامسون قائلين: .. لا دخان بغير نار .. لا يمكن أن تنتحر بغير سبب ..

وأحسست في تلك اللحظة بكراهية شديدة للقرية ونسائها الثرثارات ..

جاءت "**إيمي جريفيث**" لزيارتنا وكانت "**جوانا**" قد خرجت مع "**ميجان**" وقالت "**إيمي**" إنها سمعت أن "**ميجان**" في ضيافتنا وأخبرتني أن تلك الفتاة غير مكتملة العقل ، وأنها سوف تسبب لنا الكثير من المتاعب ، وأكدت لها أن الفتاة عاقلة وتتمتع بقدر كبير من الذكاء ، ثم تطرق الحديث إلى السيدة "**سيمنجتون**" الراحلة والقرار الذي اتخذ في التحقيق .

وقالت "**إيمي**" :

– لا يوجد دخان بغير نار ..

وقلت لها بإصرار :

– لقد سمعت ما قاله السيد "**سيمنجتون**" في التحقيق ..

– جميع الرجال يتخذون هذا الموقف مراعاة لسمعتهم ..

وأضافت "**إيمي**" أنها تعرف "**سيمنجتون**" جيدا ، وأنها عرفته سنوات طويلة في الشمال ، وأنه رجل غيور ، ثم تطرق الحديث إلى "**ميجان**" مرة أخرى ، وقالت "**إيمي**" إن الفتاة كسلانة والذي ينقصها هو العمل بدلا من تمضية كل وقتها في النزهة بالدراجة ، وعندما رأتني أدافع عن "**ميجان**" ، اتهمتني بالغيرة من النساء العاملات ، ولمست من لهجة حديثها أنها تكره أختي أيضا ، وقالت أخيرا:

– إننا لنتساءل في دهشة ما الذي دفعكما إلى اختيار هذا المكان ؟

وأجبتها قائلا :

– أوامر الأطباء.. طلبوا مني الذهاب إلى مكان بعيد هادئ لا تقع فيه أحداث مكدرة ..

ولكن يبدو أن تلك الصفات لم تعد تتوافر في هذا المكان . .

التقيت بـ"**سيمنجتون**" في وقت لاحق وسألته عما إذا كان راضيا عن بقاء "**ميجان**" معنا بعض الوقت ، وقال بشرود :

– "**ميجان**" ؟ آه .. كانت لفتة طيبة منكما ..

أحسست منذ تلك اللحظة بكراهية للرجل . لم أستطع التغلب عليها فيما بعد، لأنه نسي كل شيء عن "**ميجان**" . يكره بعض الرجال بنات زوجاتهم من أزواج سابقين ، ولكنه لم يشعر بوجود "**ميجان**" قط ، وسألته :

– ما خطتك بالنسبة للفتاة ؟

أفزعه سؤالي وقال :

– "**ميجان**" ؟ حسن .. سوف تستمر حياتها في البيت أعني .. إنه بيتها.

جاءت "**إميلي بارتون**" بعد الظهر وكانت تريد أن تتحدث معنا حول الحديقة، واستمر الحديث نصف ساعة ثم قالت بصوت منخفض :

– أرجو ألا يكون ما حدث قد أثر على أعصاب الفتاة .

– هل تعنين موت أمها ؟

– بل أعني الأسباب التي أدت إليه ..

– ما رأيك أنت ؟ هل تصدقين ما جاء في الرسالة ؟

وقالت الآنسة "**بارتون**" بارتباك :

– أوه .. لا أصدق أبدا رغم أن ذلك قد يكون إرادة السماء ...

وعندما سألتها عما تقصده بذلك قالت إنه عقاب ينزله الله على الناس ، ثم قالت :

– يقولون : إن السيدة "**كليت**" هي كاتبة تلك الرسائل ...

ولكنني لا أصدق ذلك ..

سكتت قليلا ثم استرسلت تقول :

– لم يحدث شيء كهذا في بلدنا من قبل ..

وسالتها عما إذا كانت قد تلقت واحدة من تلك الرسائل الكريهة وقالت باضطراب .

– أوه .. كلا .. إن الأمر يكون فظيعا .

اعتذرت لها وانصرفت مضطربًا ، ودخلت البيت فوجدت "**جوانا**" أمام المدفأة وفي يدها رسالة قالت : إن أحدهم أسقطها في صندوق البريد ، وسالتها عما جاء في الرسالة فقالت : نفس النغمة البذيئة ..

ألقت الرسالة في النار ولكنني مددت يدي بسرعة والتقطتها قبل أن تلتهمها النار ، قائلا لـ"**جوانا**" : إننا في حاجة إليها لنقدمها إلى الشرطة .

جاء المفتش "**ناش**" ليقابلني صباح اليوم التالي ، وشعرت بالميل نحوه منذ النظرة الأولى ، وقال :

– صباح الخير يا سيد "**بيرتون**" . أعتقد أنك تعرف سبب زيارتي لك .

– أظن أن الهدف هو تلك الرسائل المجهولة .

أومأ برأسه قائلا :

– علمت أنك تلقيت واحدة منها .

– نعم .. بعد وصولنا إلى المكان بزمن وجيز .

ذكرت له مضمون الرسالة بالعبارات التي أذكرها ، وقال بعد أن استمع إلي دون انفعال .

– هل احتفظت بتلك الرسالة يا سيد "**بيرتون**" ؟

– لا للأسف .. ظننت وقتها أنه مجرد حقد طارئ باعتبارنا غريبين عن المكان هز المفتش رأسه قائلا :

– هذا أمر يدعو إلى الأسف .

– على أية حال .. تلقت أختي رسالة أخرى بالأمس .

– شكرا لك يا سيد "**بيرتون**" . كانت حكمة منك أن تحتفظ بالرسالة .

قدمت له الرسالة وقرأها بإمعان ثم سالني :

– هل تشابه من حيث الشكل الرسالة الأولى ؟

– أعتقد هذا على قدر ما أذكر .

وضع المفتش الرسالة في جيبه ثم قال :

– أكون شاكرا لو صحبتني إلى مركز الشرطة حيث نستطيع أن نعقد مؤتمرا للتباحث في الموقف توفيرا للوقت .

أعربت له عن ترحيبي بالتعاون مع الشرطة ، وركبت معه سيارة الشرطة التي كانت تنتظر في الخارج وأنا أساله :

– هل تعتقد أننا سوف نتمكن من حل هذا اللغز ؟

أومأ المفتش برأسه في ثقة قائلا : إنها مسألة وقت لا أكثر وسالته :

– تعني مراقبة صناديق البريد وفحص الآلات الكاتبة الموجودة في المدينة وبصمات الأصابع ؟

ابتسم قائلا :

– نعم ..

رأيت في قسم الشرطة السيد "**سيمنجتون**" ودكتور "**جريفيث**" ، وقدماني إلى رجل عريض الفكين يرتدي الملابس المدنية وعرفت أنه المفتش "**جريفز**" ،

وقال "ناش" :

– جاء المفتش "جريفز" من "لندن" لمساعدتنا .. وهو خبير في شؤون الرسائل المجهولة .

ابتسم المفتش "جريفز" وهو يقول بصوت خشن :

– جميع حالات الرسائل المجهولة متشابهة . الأسلوب والعبارات ..

وقال المفتش "ناش" :

– حققنا في قضية مماثلة منذ عامين وعاوننا المفتش "جريفز" في إماطة اللثام عنها .

رأيت مجموعة من الرسائل معروضة على المكتب أمام "جريفز" وقال "ناش" :

– الصعوبة في الحصول على الرسائل أن الناس إما أن يرموها في النار أو ينكروا تسلمهم إياها .. وهذا غباء كما ترى .. لأنهم يخافون من التعامل مع الشرطة ..

وقال "جريفز" :

– على أي حال لدينا قدر معقول تستطيع أن نبدأ به ..

أخرج الرسالة التي تسلمها مني ووضعها أمام "جريفز" وفحصها "جريفز" بإمعان ثم قال :

– عظيم .. عظيم جدا .. أمامنا القدر الكافي الذي نبدأ به .. وأرجو أيها السادة أن تخطروني في حالة العثور على الجديد من هذه الرسائل ، أو إذا سمعتم أن أحدهم وصله شيء منها .. وهذا الحديث موجه إليك يا دكتور "جريفيث" بصفة خاصة .. حاول أن تعرف من مرضاك .

استعرض "جريفز" الرسائل الموضوعة أمامه ، قائلا إن واحدة منها وصلت "سيمنجتون" منذ شهرين ، وواحدة لـ"جريفيث" ، وأخرى للآنسة "جينش" ، وأخرى إلى السيدة "مادج" زوجة الجزار ، ورسالة إلى "جنيفر كلارك" عاملة البار ، والرسالة التي وصلت إلى السيدة "سيمنجتون" ، ثم الرسالة الأخيرة التي تلقتها الآنسة "بيرتون" .. بالإضافة إلى رسالة إلى مدير البنك وقلت بدهشة : إنها مجموعة ضخمة ..

وأكد "جريفز" أن الرسائل مشابهة للحالات التي مرت عليه من قبل ، وأنه لا شيء جديد في الأسلوب وسأل السيد "سيمنجتون" :

– هل استطعت التوصل إلى شيء محدد بالنسبة لكاتب هذه الرسائل ؟

قال "جريفز" :

– كلمات كل الرسائل مقطوعة من كتاب مطبوع .. وهو كتاب قديم طبع حوالي عام 1830 ، وقد لجأ الكاتب إلى ذلك تجنبا لاحتمال التعرف على خط يده . ولا توجد بصمات أصابع على الورق الذي كتبت عليه الرسائل مما يؤكد أن كاتبها كان يرتدي قفازا عند وضع الرسائل في صندوق البريد .. والعناوين المكتوبة على الظروف منسوخة على آلة طابعة من طراز "وندسور 7" . آلة طابعة قديمة حروف الألف والتاء فيها غير مستوية مع الصف ، ومعظم الرسائل أرسلت محليا أو وضعت باليد في صناديق بريد الأشخاص الذين تسلموها .. مما يؤكد أنها مرسلة محليا ..

وفي اعتقادي أن التي كتبتها سيدة في منتصف العمر ، ومن المرجح وإن كان هذا ليس مؤكدا أنها غير متزوجة .. نظرنا لمدة دقيقة أو دقيقتين إلى المفتش "جريفز" باحترام ثم قلت له :

– أعتقد أن الآلة الكاتبة هي التي سترشدك إلى الكاتب خصوصا في مكان صغير كهذا .

هز المفتش "**جريفز**" راسه قائلا :

– أنت مخطئ في هذا يا سيدي .

تدخل المفتش "**ناش**" في الحديث قائلا :

– لسوء الحظ أن هذه الآلة أهداها السيد "**سيمنجتون**" إلى معهد النساء. وأي سيدة تذهب إلى المعهد يسهل عليها استخدام الآلة الكاتبة .

– ألا تستطيع التوصل إلى شيء من طريقة ملامسة الحروف ؟ اومأ "**جريفز**" براسه قائلا :

– كلا . غير أن جميع العناوين المكتوبة على الظروف مكتوبة بأصبع واحد . . – معنى هذا أن كاتب الرسالة غير متمرس على الآلة الكاتبة ؟

– كلا . . لا استطيع أن اجزم بذلك . . ربما كان شخصا يجيد الكتابة ولكنه لا يريد أن يعرف أحد ذلك .

وقلت ببطء :

– أيا كان الكاتب فهو شخص ماكر :

– هي كذلك . . ماكرة جدا . .

وقلت :

– لا أظن أن واحدة من أولئك النسوة الريفيات تمتلك مثل هذه العقلية الماكرة سعل "**جريفز**" ثم قال :

– أخشى أن اقول : إن الكاتبة سيدة متعلمة .

وقال السيد "**سيمنجتون**" بانفعال :

– هذا يحصر الاتهام بين عدد ينحصر بين ستة وحوالي العشرة !

وقال المفتش بهدوء : هذا صحيح . .

عاد السيد "**سيمنجتون**" بانفعال يقول :

– لقد سمعتم ما قلته في التحقيق . . وأود أن أؤكد مرة أخرى أن ما جاء في الرسالة المرسلة إلى زوجتي غير صحيح إطلاقا . . كانت زوجتي شديدة الحساسية و . . تستطيعون أن تقولوا : إنها كانت غبية إلى حد ما . .

لاشك أن الرسالة سببت لها صدمة شديدة مع ما تعانيه من اعتلال صحتها . .

أجابه "**جريفز**" على الفور قائلا :

– لا تعرض أي واحدة من هذه الرسائل أية معلومات دقيقة . . مجرد اتهامات عمياء . . . ولا توجد شبهة ابتزاز المال ، كما لا يوجد دافع ديني. إنه مجرد حقد واتهامات جنسية ، وهذا سوف يضيق الدائرة حول الفاعل .

وقف "**سيمنجتون**" ، وقال وهو يرتجف :

– أرجو أن تقبضوا بسرعة على ذلك الشيطان . . تلك المرأة قتلت زوجتي . . ترى كيف تشعر الآن ؟

سارع "**ناش**" إلى الإجابة بقوله :

– سوف تحاول مرة أخرى . .

وقلت بدهشة :

– تكون مجنونة لو أنها واصلت هذا العمل . .

قال "**جريفز**" بلهجة التاكيد :

– سوف تستمر . هم يفعلون ذلك دائما . . إنهم لا يستطيعون التخلص

منه .

سألت عما إذا كانوا لا يزالون في حاجة إليّ وأخبرني "**ناش**" أنهم ليسوا في حاجة إليّ الآن ،وطلبوا مني فتح عيني وحث الناس على الاتصال بالشرطة لعرض ما يصلهم من رسائل أو الإدلاء بأي معلومات تفيد الشرطة ، وعندما قلت : إن المجتمع المحلي لا يثق بي ..

خرجت مع الدكتور "**جريفيث**" بعد الظهر وقلت له :

– يا له من مكان يلجأ إليه الإنسان ليقضي فيه فترة النقاهة !

مشينا في الشارع الرئيسي ، وتوقفت أمام مكتب السمسار قائلا للدكتور "**جريفيث**" : إنني أفكر في التخلي عن بقية المدة وترك المكان ، وقال الدكتور "**أوين جريفيث**" برجاء :

– لا ترحل ...

وعندما سألته عن السبب قال :

– ربما كنت على حق .. قد تتعرض أختك للخطر ..

وقلت له :

– "**جوانا**" قادرة على حماية نفسها .. أنا الشخص الضعيف وهذا الأمر يثير أعصابي . ولكنني لن أرحل .. يدفعني الفضول إلى البقاء لمعرفة النهاية .

دخلت المكتب واستقبلتني سيدة مجعدة الشعر كانت مشغولة بالكتابة على الآلة الكاتبة ، عرفت أنها الآنسة "**جينش**" ، الكاتبة التي كانت تعمل في مكتب السيد "**سيمنجتون**" ، وقلت لها .

– كنت تعملين في مكتب السيد "**سيمنجتون**" ، أليس كذلك ؟ قالت

بهدوء :

– بلى .. ولكنني رأيت من الأفضل لي تركه ، رغم أن مرتب هذا العمل أقل ، إلا أن المال ليس كل شيء ... أليس كذلك ؟

وافقتها على رأيها ، وعادت تقول :

– السبب في تلك الرسائل الممقوتة .. وصلتني واحدة منها تشير إلى وجود علاقة بيني وبين السيد "**سيمنجتون**" .. كلمات بذيئة فظيعة ! عرفت أن واجبي يقتضي تسليم الرسالة للشرطة رغم ما يسببه ذلك من حرج لي .

ابتسمت ابتسامة اعتزاز ، وهكذا التقيت اليوم بشخص مسرور لتسلمه واحدة من تلك الرسائل المجهولة وخطر ببالي سؤال : هل كتبت الآنسة "**جينش**" هذه الرسائل ؟

- 7 -

عند عودتي إلى المنزل وجدت السيدة "**دين كالثروب**" جالسة تتحدث مع "**جوانا**" ، وأعربت السيدة "**كالثروب**" عن أسفها العميق من أجل تلك البائسة ، وعندما سألتها عما إذا كانت تعني السيدة "**سيمنجتون**" ، قالت بل على العكس، إنها تعني كاتبة الرسائل المجهولة ، لأن السيدة "**سيمنجتون**" كانت أنانية متعلقة بالحياة ، وأنها تعجب كيف وضعت خاتمة لحياتها على ذلك النحو ، وعندما أعربت لها عن دهشتي لما تقوله ، قالت :

– إنني أشفق على تلك البائسة التي تشعر بالتعاسة وتبقى وحدها تفرغ ألمها على الورق وتحاول أن تنشر إحساسها بالتعاسة بين الآخرين .. نعم ..

إنها مخلوقة بائسة حقا . .

وقفت لتنصرف ، وأنا أختلف معها في التعاطف مع كاتبة الرسائل المجهولة، وسألتها بفضول :

– هل لديك فكرة عن كاتبة هذه الرسائل ؟

رمقتني بنظرة ثابتة وهي تقول :

– حسن . . أستطيع أن أخمن ولكنني قد أكون مخطئة . .

وقالت قبل أن تغادر الحجرة :

– لماذا لم تتزوج إلى الآن يا سيد **"بيرتون"** ؟

– لأنني لم أصادف الزوجة المناسبة . .

– ولكن هذه الإجابة ليست مقنعة ، لأن عددا كبيرا من الرجال يتزوجون المراة غير المناسبة . .

قالت ذلك وانصرفت على الفور ، وقالت **"جوانا"** :

– إنني أفكر في بعض الأحيان أنها مجنونة ، ولكنني أحبها رغم أن الناس في القرية يخشونها .

وقالت **"جوانا"** : هل تعتقد حقا أن كاتب تلك الرسائل المجهولة يعاني قدرا كبيرا من التعاسة ؟

– إنني لا أهتم بكاتب الرسائل وإنما أشعر بالأسى على الضحايا .

وبدا لي الأمر عجيبا ونحن نختلف في تصوراتنا بالنسبة لكاتب الرسائل، فقد كان من رأي الدكتور **"جريفيث"** أنها شخصية تبتهج بنتائج عملها ، وتصورتها نادمة على فعلتها ، بينما تراها السيدة **"كالثروب"** شخصية تتعذب . .

ولكننا جميعا لم نفكر في رد الفعل لذلك العمل أو الشكل القانوني له . .

لا شك أن السيد **"سيمنجتون"** يعرف ، ولكن الشيء الواضح الآن أن المسألة لم تعد مزحة ، لقد تحرك رجال الشرطة وجاء مندوب من اسكتلانديارد للكشف عن سر تلك الرسائل المجهولة ، ومع التسليم بأن الخوف كان رد الفعل الطبيعي لتلك الرسائل ، فقد ظهرت في الأفق أشياء أخرى ، ورغم وضوح بعض الاحتمالات إلا أنني لم أتنبه إليها . .

عندما نزلنا أنا و**"جوانا"** لتناول الفطور صباح اليوم التالي ، ساءني أن أرى **"إيمي جريفيث"** واقفة أمام عتبة الباب تتحدث مع **"ميجان"** ، وقالت لنا :

– هالو أيها الكسالى !

انسحبت **"ميجان"** ، وقالت **"إيمي جريفيث"** :

– جئت أسأل الآنسة **"بيرتون"** عما إذا كان لديكما في الحديقة أي فائض من الخضراوات للصليب الأحمر . . وإذا كان لديكم فائض يمكن أن أبعث **"أوين"** ليحمله في سيارته .

وقلت لها : أنت مبكرة للغاية يا آنسة **"جريفيث"** .

وقالت بزهو :

– الطائر المبكر يفوز بالطعام ،، سوف أمر بعد ذلك على السيد **"باي"** وسوف أشغل بعد الظهر بالمرشدات . .

– تدهشني طاقتك الكبيرة .

أسرعت لأرد على التلفون تاركا **"جوانا"** معها .

ورفعت السماعة . وقال الصوت من الطرف الآخر .

هل هذا منزل **"ليتل فيرز"** ؟ وعندما أجبت بالإيجاب قال الصوت بارتباك :

– هل استطيع أن أتحدث مع الآنسة "**باتريدج**" ؟

– بالتأكيد .. من المتحدث ؟

– أوه .. أخبرها انني "**أجنيس**" .. "**أجنيس واديل**" ظهرت "**باتريدج**" على رأس السلم ممسكة بالمكنسة ، وقلت إن "**أجنيس واديل**" على التلفون، وقالت بارتياب :

– عفوا .. من الذي يطلبني يا سيدي ؟

قلت بصوت مرتفع : "**أجنيس واديل**" .

وقالت "**باتريدج**" مصححة الاسم : "**أجنيس واديل**" .. ما الذي تريده مني الآن؟

تركت "**باتريدج**" المكنسة وهبطت السلم في اضطراب ، وذهبت إلى غرفة المائدة حيث كانت "**ميجان**" تتناول بعض الطعام ، ودخلت "**جوانا**" بعد قليل وأنا أقرأ صحيفة الصباح قائلة إنها متعبة للغاية وسألتني عما إذا كان الفول يزرع في هذا الوقت من السنة ، وأخبرتها أن موعد زراعته في آب (أغسطس)، ثم قالت :

– يدهشني في "**إيمي جريفيث**" تلك الطاقة الضخمة واستمتاعها بالحياة.. ألا تعتقد أنها تشعر في بعض الأحيان بالتعب أو الملل ؟ أخبرتها أن "**إيمي**" لا تشعر قط بالتعب أو الملل ، ثم تبعت "**ميجان**" إلى الشرفة ووقفت أملأ غليوني ، عندما سمعت صوت "**باتريدج**" من خلفي يقول :

– هل أستطيع أن أتحدث معك قليلا يا سيدي ؟

وهمست لنفسي مرتاعا : أرجو ألا تكون الخادمة قد قررت ترك العمل لأن ذلك سوف يثير ثائرة "**إميلي بارتون**" علينا ..

وقالت "**باتريدج**" :

– جئت أعتذر لأنهم طلبوني تلفونيا .. لم يسبق أن طلبني أحد وأنا لا أسمح لأصدقائي بذلك ..

وقالت لها "**جوانا**" مهدئة روعها :

– لا ضير في أن يطلبك أصدقاؤك يا "**باتريدج**" ..

لاحظت أن وجه الخادمة محمر وقالت ببرود :

– ليس هذا من تقاليد البيت .. لم تكن الآنسة "**إميلي**" تسمح بشيء كهذا وأنا آسفة لحدوثه .. ولكن "**أجنيس**" كانت في أشد حالات الانزعاج فضلا عن أنها شابة غريرة ..

التقطت "**باتريدج**" أنفاسها وأردفت تقول :

– "**أجنيس**" التي طلبتني كانت تعمل هنا كمساعدة لي . كانت وقتها في السادسة عشرة من عمرها وجاءت من أحد الملاجئ ، وهكذا ترون أنه لا أقارب لها أو بيتا ، وقد اعتادت اللجوء إليّ طالبة النصح ..

لهذا أسألك يا آنسة ما إذا كنت تسمحين لـ"**أجنيس**" بالمجيء هنا لتتناول الشاي معي بعد الظهر .

وقالت لها "**جوانا**" بدهشة :

– ما الضرر في أن تستقبلي صديقة لتناول الشاي معك ؟

– لم يكن هذا من تقاليد البيت .. وكانت السيدة "**بارتون**" العجوز لا تسمح بذلك في غير أيام راحتنا حتى نبقى في البيت .. وقد استمرت الآنسة "**إميلي**" في المحافظة على هذه التقاليد .

وبعد انصراف "**باتريدج**" ، عاتبت "**جوانا**" لتعاطفها ولينها مع الخدم ،

وقالت "**جوانا**" محتدة :

– لم أسمع من قبل عن مثل هذا الطغيان . ما ينبغي لي أن تعامل الخدم كالعبيد الزنوج ..

وخرجت "**جوانا**" ثائرة لأن "**إيمي**" وصمتها ذلك الصباح بالجهل بالمملكة النباتية ، ثم أضافت إلى ذلك وصفها بالتساهل مع الخدم ..

اقتربت "**ميجان**" منا قائلة :

– أعتقد انه ينبغي لي أن أعود إلى بيتي اليوم .

وقلت لها باستياء : ماذا تقولين ؟

– لقد كان منتهى الكرم أن تتحملاني .. كنت عبئا ثقيلا ، رغم أنني استمتعت بفترة إقامتي معكم ، ولكن ينبغي أن أرجع إلى البيت .. إنه بيتي ولا يستطيع الإنسان أن يعيش بعيدا عنه إلى الأبد .

حاولنا أن نثنيها عن عزمها ولكنها أصرت ،ونزلت بعد قليل حاملة حقيبتها، وكانت "**باتريدج**" الشخص الوحيد الذي أسعده رحيل الفتاة ، فلم تكن تشعر بأدنى ميل نحو "**ميجان**" .

يجب أن أعترف أنني شعرت بالاستياء للطريقة التي تركتنا بها "**ميجان**" ، ربما لم تكن الحياة معنا مسلية بالنسبة لشابة في مثل سنها ، ولديها في البيت "**إيلزي هولاند**" والأولاد .. جاء "**أوين جريفيث**" بسيارته بعد الغداء في انتظار ما نقدمه من فائض الخضراوات وطلبت منه الدخول ، وعندما جئته بكاس من الشراب كانت "**جوانا**" قد بدأت لعبتها معه ..

لم ألحظ بوادر خصومة بينهما ، على العكس كانت "**جوانا**" تسأله عن طبيعة عمله كممارس عام ولماذا لم يتخصص ؟

وكانت تقول له إن مهنة الطب من أكثر الأشياء الممتعة في الحياة ، وكانت تصغي إلى إجاباته باهتمام ، ولكن "**أوين**" بعد أن شرب الكأس الثالثة بدأ يتحدث بإسهاب عن بعض التفاصيل مستخدما عبارات طبية غير مفهومة لنا، ولا تزال "**جوانا**" تستمع إليه باهتمام .. وشعرت ببعض القلق وأنا أتابع اللعبة التي تلعبها "**جوانا**" مع الطبيب .. حقا إن النساء قرينات الشيطان !

قالت له "**جوانا**" أخيرا :

– أرجو أن تغير رأيك وتتناول الغداء معنا ..

احمر وجه "**أوين**" وقال إن أخته تنتظره ولولا ذلك لاستجاب لدعوتنا ..

بادرته "**جوانا**" قائلة :

– نستطيع أن نتصل بها تلفونيا ونشرح لها الأمر .. بدا القلق على وجه الطبيب، وخطر بذهني أنه يخشى أخته .. عادت "**جوانا**" باسمة بعد أن نجحت في إقناع الطبيب بالبقاء ، واستمتعنا بعد الغداء بالحديث في شتى الموضوعات ، والموسيقى والرسم والعمارة الحديثة .. ولم نتحدث عن "**ليمستوك**" بالمرة أو الرسائل المجهولة وسر انتحار السيدة "**سيمنجتون**" .. تجنبنا الحديث في المشاكل ، وكان "**أوين جريفيث**" سعيدا ، وأشرق وجهه، وبعد انصرافه قلت لـ"**جوانا**" :

– هذا الفتى لا يستطيع أن يصمد لألاعيبك ..

قالت "**جوانا**" بهدوء :

– هذا ما تقوله أنت ..

كان علينا أن نجيب دعوة الآنسة "**إميلي بارتون**" لتناول الشاي معها في غرفتها بعد الظهر ، وذهبنا إليها سيرا على الأقدام . لأنني شعرت باستعادة

بعض قوتي .. ويبدو أننا وصلنا مبكرين عن موعدنا ، لأننا اكتشفنا ان الآنسة "**بارتون**" في الخارج.

وقالت السيدة التي استقبلتنا :

– تفضلا بالدخول فهي تنتظر وصولكما ..

كان من الواضح أنها "**فلورنس**" المخلصة لمخدومتها السابقة ، قادتنا إلى غرفة جلوس صغيرة مريحة مكتظة بقطع الأثاث التي يبدو انها نقلت من "**ليتل فيرز**" ، وقالت "**فلورنس**" باعتزاز :

– أليست غرفة مريحة ؟

قالت "**جوانا**" بحرارة :

– إنها لطيفة حقا .

– إنني أوفر لها أكبر قدر من الراحة .. ولكن كان ينبغي لها أن تكون منعمة في بيتها ..

سكتت "**فلورنس**" قليلا ثم استرسلت تقول :

– عملت وصيفة لها مدة خمسة عشر عاما ..

ولكن الظروف المالية العصيبة اضطرتها إلى عرض بيتها للإيجار .. الآنسة "**بارتون**" تحتاج إلى الرعاية ولن أتوانى عن توفير كل الرعاية اللازمة لها ..

غادرت الغرفة وأغلقت الباب وراءها.

وقالت "**جوانا**" :

– يبدو أننا نمر ببرج النحس يا "**جيري**" .. "**ميجان**" سئمت الحياة معنا ، و"**باتريدج**" غير راضية عنا ، وهذه "**فلورنس**" بدورها لا تشعر نحونا بالارتياح وسألت "**جوانا**" بعد برهة :

– لماذا تركتنا "**ميجان**" ؟

– لعلها ملت أسلوب حياتنا .

– لا أظن ذلك .. ربما يكون ذلك بسبب شيء قالته لها "**إيمي جريفيث**" .

– تعنين هذا الصباح ؟

– نعم .. لم تبقيا معا طويلا ولكن . . .

قطع حديثنا فتح الباب ودخول الآنسة "**إميلي بارتون**" كان وجهها محمرا وهي مبهورة الأنفاس يبدو عليها القلق ، وعيناها تشعان بالبريق وقالت :

– يا إلهي .. أعتذر لتأخري ولكنني كنت أشتري بعض الأشياء من المدينة..

قالت "**جوانا**" مخففة عنها :

– الخطأ خطؤنا لأننا وصلنا مبكرين . . .

ربتت العجوز كتف "**جوانا**" برقة ، ثم نظرت إليها باسمة وهي تقول:

– طيب من جانبكما أن تلبيا دعوة سيدة عجوز .

فتح الباب بعد قليل ودخلت "**فلورنس**" حاملة صينية الشاي وبعض الكعك، وكان وجهها مشرقا هذه المرة ..

أكلت أنا و"**جوانا**" أكثر من حاجتنا بناء على إلحاح مضيفتنا ، وكانت الآنسة "**بارتون**" بالغة السعادة وهي تستقبل ضيوفا من الشبان قادمين من "**لندن**" . وسرعان ما تحول حديثنا إلى الشؤون المحلية ، وتحدثت الآنسة "**بارتون**" عن الدكتور "**جريفيث**" بحرارة ، وهي تذكر رقته وبراعته كطبيب.. وكان من رأيها أن السيد "**سيمنجتون**" محام قدير ساعدها في تخفيض بعض الضرائب المطلوبة منها ، وأنه لطيف للغاية مع أولاده ، وكان

مخلصا لزوجته ..

ثم قالت :

– مسكينة السيدة "**سيمنجتون**" .. إنها ماساة مفجعة ذهاب الأم تاركة أطفالها الصغار يتامى .. حقا كانت صحتها معتلة في الأيام الأخيرة ولكن لابد وأن العاصفة التي ذهبت بعقلها كانت شديدة ، قرات عن ذلك في بعض الصحف ، في مثل هذه الظروف لا يدري الإنسان ما يفعله ، ولو أنها كانت تدري لفكرت في زوجها والأولاد ..

وقالت "**جوانا**" :

– لابد أن هذه الرسالة زلزلتها من الأعماق ..

احمر وجه الآنسة "**بارتون**" وقالت بوجل :

– ليس هذا موضوعا لطيفا للمناقشة .. أعرف أن هناك كثيراً من تلك الرسائل ولكننا لن نتحدث في تلك الأمور الكريهة .. من الأفضل أن نتجاهلها.

ربما كان يسهل على الآنسة "**بارتون**" تجاهلها ، ولكن بالنسبة للآخرين لم يكن ذلك بالأمر السهل ، ولكننا غيرنا دفة الحديث وبدأنا نتحدث عن "**إيمي جريفيث**" .. وقالت "**إميلي بارتون**" :

– سيدة رائعة .. ممتازة حقا .. طاقتها وقدرتها على التنظيم رائعة .. وهي ممتازة في معاملتها للفتيات أيضا . إنها هي التي تدير هذا المكان في الواقع.. وهي إنسانة عملية إلى حد كبير كما أنها تتفانى في خدمة أخيها ..

وسالتها "**جوانا**" بحذر :

– الا ترينها طاغية إلى حد ما ؟

قالت الآنسة "**بارتون**" بدهشة :

– لقد ضحت بالشيء الكثير من أجل شقيقها ..

حولنا دفة الحديث نحو السيد "**باي**" ، واكتفت الآنسة "**بارتون**" بقولها إنه لطيف وكريم ، وقالت إنه يستقبل في بعض الأحيان زائرين غريبي الأطوار.. وعزت ذلك إلى كثرة أسفاره ، واتفقنا جميعا على أن كثرة الرحلات تزيد العقل معرفة واتساع أفق ، وقالت الآنسة "**بارتون**" :

– كم تمنيت ان اقوم برحلة بالسفينة .. عندما يقرأ الإنسان عن تلك الرحلات يحس أنها ممتعة .

وسالتها "**جوانا**" :

– ولماذا لم تحققي رغبتك ؟

بدا الارتياع على وجه الآنسة "**بارتون**" وهي تقول :

– أوه . كلا .. ذلك مستحيل .

– ولكن لماذا .. هذه الرحلات لا تكلف الكثير .

– أوه .. ليست التكاليف وحدها .. أنا أخشى السفر وحدي .. الا ترين ان سفر الإنسان وحده يبدو غريبا ؟

قالت "**جوانا**" بهدوء : كلا ..

نظرت إليها الآنسة "**بارتون**" بارتياب ثم قالت :

– كما أنني لا اعرف كيف اتصرف مع حقائبي وانا انزل في المواني الغريبة.. وشؤون استبدال العملة ..

وتحول الحديث نحو السيدة "**دين كالشروب**" ، وظهر الفزع على وجه الآنسة "**بارتون**" برهة ثم قالت :

– أنت تعرفين يا عزيزتي .. إنها سيدة غريبة للغاية .. أعني الأشياء التي تقولها .

سألتها عن تلك الأشياء وقالت :

– أوه .. لا أدري .. إنها تفتح موضوعات غير متوقعة .. كما أن نظرتها غريبة .. فضلا عن أنها لا تتدخل في أي أمر ، والمفروض في زوجة القس أن تنصح الناس وترشدهم في بعض الأمور .. لهذا يرهبها الناس ، كما أن لديها عادة الشعور بالشفقة نحو الأشخاص الذين لا يستحقونها .

وقلت وأنا أتبادل نظرة سريعة مع **"جوانا"** :

– هذا أمر مثير للانتباه حقا .

واسترسلت الآنسة **"بارتون"** تقول :

– ومع هذا فهي سيدة مهذبة .. مخلصة لزوجها ..

سكتت الآنسة **"بارتون"** برهة ثم قالت :

– أما بالنسبة لناظرة المدرسة فهي شابة غير مريحة بالمرة .. وعند عودتنا إلى المنزل قالت **"جوانا"** عن الآنسة **"بارتون"** :

– إنها لطيفة :

قالت **"جوانا"** لـ**"باتريدج"** عند العشاء إنها تتمنى أن تكون حفلة الشاي ناجحة، واحمر وجه الخادمة وقالت واجمة :

– شكرا لك يا سيدتي .. ولكن **"أجنيس"** لم تأت ..

– أوه . أنا آسفة .

– لم أكترث كثيرا لذلك ، أنا لم أدعها للمجيء فهي التي اتصلت بي وطلبت زيارتي .. قالت إن ثمة موضوعا يشغل بالها وتحب أن تستشيرني

فيه في يوم راحتها .. والذي يغيظني أنها لم تتصل بي لتعتذر رغم أنني أتوقع وصول بطاقة بريدية منها غدا .. بنات اليوم لا يعرفن أصول التعامل مع الآخرين .

حاولت **"جوانا"** أن تخفف جرح مشاعرها قائلة :

– ربما شعرت بوعكة .. ألم تتصلي بها ؟

– كلا يا سيدتي .. إذا كانت **"أجنيس"** تتصرف بحماقة فذلك شأنها ، ولكنني سوف أعرف كيف أحاسبها عندما أراها .. غادرت **"باتريدج"** الغرفة شامخة بأنفها، وضحكت **"جوانا"** ، وقلت لها ، ربما كانت الفتاة تريد أن تحدثها عن خلاف وقع بينها وبين صديقتها ، ولكنها لم تأت لأن الصلح تم بينهما .. وافقتني **"جوانا"** على رأيي ، ثم بدأنا نتحدث حول تلك الرسالة المجهولة ، ونحن نتساءل عن المرحلة التي وصلت إليها أبحاث المفتش **"ناش"** وذلك المفتش القادم من "اسكتلانديارد" وقالت **"جوانا"** :

– مضى أسبوع كامل منذ انتحار السيدة **"سيمنجتون"** لابد أن يكونا قد توصلا إلى شيء .. بصمات أصابع أو كلمات مكتوبة بخط اليد أو شيء من هذا القبيل .

أجبتها شارد اللب ، وأنا أحس بقلق متزايد فيما يتعلق بالطريقة التي قالت بها **"جوانا"** . مضى أسبوع كامل ..

كانت بعض شكوكي تتجه نحو وجهة معينة ، وأدركت **"جوانا"** فجأة أنني غير منصت إليها ،وسألتني :

– فيم تفكر يا **"جيري"** ؟

لم أرد عليها لأن عقلي كان مشغولا بتجميع بعض الحقائق .. انتحار

السيدة "**سيمنجتون**" .. كانت بعد ظهر ذلك اليوم وحدها في البيت .. وحدها لأن الخدم كانوا في وقت راحتهم .. منذ أسبوع على وجه التحديد ..

وقالت "**جوانا**" بقلق :

– "**جيري**" . ماذا هنالك ؟

– "**جوانا**" .. ألا يأخذ الخدم راحة مرة في الأسبوع ؟

– بلى .. بالتبادل بعد ظهر كل يوم سبت ..

– دعنا من أيام الأحد .. هل يخرجون في نفس اليوم من كل أسبوع ؟

– نعم .. هذا ما جرت به العادة .

كانت "**جوانا**" تحملق إلى وجهي بدهشة ، ولم يتبع عقلها نفس الخط الذي سلكه ذهني .. عبرت الغرفة وضربت الجرس وجاءت "**باتريدج**" مسرعة ، وقلت لها :

– أخبريني يا "**باتريدج**" .. تلك الفتاة "**أجنيس وادبل**" هل هي في الخدمة ؟

– نعم يا سيدي .. عند السيدة "**سيمنجتون**" .. أو على الأصح عند السيد "**سيمنجتون**" الآن .

أخذت نفسا عميقا وتطلعت إلى ساعة الحائط .. كانت الساعة العاشرة والنصف .

– هل تعتقدين أنها عادت إلى البيت الآن ؟

– نعم يا سيدي .. على الخدم أن يعودوا في العاشرة ..

وقلت : سوف أتصل تلفونيا بالمنزل ..

توجهت إلى الصالة ، وتبعتني "**جوانا**" و"**باتريدج**" ، وكانت "**باتريدج**"

بصفة خاصة غاضبة بينما كانت "**جوانا**" متحيرة ، وسألتني : ما الذي تنوي أن تفعله يا "**جيري**" ؟

– أحب أن أتأكد من أن الفتاة قد عادت بالفعل إلى عملها .

حدجتني "**جوانا**" بدهشة ولكنني لم أعبأ بنظرتها . أدرت القرص ، وعندما سمعت صوت "**إيلزي هولاند**" قلت لها :

– آسف لإجراء هذا الاتصال . أنا "**جيري بيرتون**" .. هل رجعت "**أجنيس**" إلى البيت ؟

أحسست بعد أن خرجت الكلمات من فمي أنني أحمق لأن الفتاة لو كانت قد عادت ، فكيف أشرح سبب سؤالي عنها ، ورأيت بعين الخيال انتشار القصة في "**ليمستوك**" بأسرها ثم انتشار الشائعات حول العلاقة القائمة بيني وبين "**أجنيس وادبل**" . إلا أن صوت "**إيلزي**" لم يكشف عن دهشتها لهذا السؤال ، وقالت :

– "**أجنيس**" ؟ من المؤكد أنها عادت الآن .

لم يعد أمامي سبيل للتراجع ، وقلت :

– هل تسمحين بالتأكد بنفسك يا آنسة "**هولاند**" ؟

وضعت "**إيلزي هولاند**" السماعة وأطاعت أمري ، وجاءت بعد قليل وقالت :

– في الواقع لم تعد "**أجنيس**" إلى المنزل بعد .

أدركت في تلك اللحظة صحة ما توقعته ، وسمعت جلبة في الطرف الآخر من الخط ، ثم سمعت صوت السيد "**سيمنجتون**" بنفسه يقول :

– هالو "**بيرتون**" .. ماذا هناك ؟

– لم تعد خادمتك "**أجنيس**" حتى الآن .

– نعم . لقد تأكدت الآنسة "**هولاند**" بنفسها من ذلك ..

ما الذي هناك ؟ هل وقع لها حادث ؟

– لا . لم أسمع عن وقوع حادث لها .

– هل تعني أن لديك من الأسباب ما يحملك على الاعتقاد بوقوع حادث للفتاة؟

قلت له بعبوس :

– لن يدهشني ذلك .

- 8 -

قضيت ليلة مؤرقة ، وكنت أفكر في حل لذلك اللغز المحير ، وأنا أحاول أن أضع المعلومات المتوافرة لدي جنبا إلى جنب لكي تكتمل الصورة ، ولكنني لم أستطع التوصل إلى شيء ..

وطافت برأسي تلك الكلمات التي ترددت أكثر من مرة خلال الفترة الماضية . لا توجد نار بغير دخان ..

لا يوجد دخان بغير نار .. الدخان ؟ ساتر الدخان ... كلا .. هذا تعبير عسكري في الحرب .. قصاصة ورق .. مجرد قصاصة ورق .... "**بلجيكا**" .. ألمانيا ...

أخيرا استطعت النوم ورأيت في الحلم أنني آخذ السيدة "**دين كالثروب**" التي تحولت إلى أحد كلاب الحراسة في نزهة وأنا أقودها من السلسة التي تمسك بالطوق الذي يلتف حول رقبتها ..

استيقظت على رنين جرس التلفون .. رنين مستمر .. جلست في سريري ثم قفزت إلى الأرض وأسرعت إلى الطابق السفلي ، ورأيت "**باتريدج**" قادمة من الباب الخلفي ، ورفعت سماعة التلفون : هالو؟

– أوه .. أهذا أنت ؟

كان الصوت لـ"**ميجان**" ، وفي صوتها رنين ارتياح ممزوج بالفزع ، وسمعت صوت "**ميجان**" يقول برجاء :

– أوه .. أرجو أن تحضر .. هل ستحضر ؟

وقلت لها مطمئنا :

– سوف آتي في الحال .. في الحال هل تسمعينني ؟

أعدت السماعة إلى مكانها ، وأسرعت إلى غرفة "**جوانا**" وقلت لها باضطراب :

– استمعي إلي يا "**جو**" .. أنا ذاهب إلى بيت السيد "**سيمنجتون**" رفعت "**جوانا**" خصلة شعرها الذهبي ، وأخذت تفرك عينيها مثل الطفل الصغير ، وقالت :

– ما .. ما الذي حدث ؟

– لا أدري .. إنها الطفلة .. "**ميجان**" .. طلبتني وهي في غاية الاضطراب ..

– ماذا تظن أنه قد حدث ؟

– أعتقد أنها الفتاة "**أجنيس**" ..

بينما كنت في طريقي إلى الباب بعد ارتداء ثيابي ، نادتني "**جوانا**" قائلة :

– انتظر .. سوف آتي لأقود لك السيارة ..

– لا داعي لذلك .. سوف أقود السيارة بنفسي .

– لن تستطيع القيادة ..

– بل .. أستطيع .

قدت السيارة بالفعل ، وشعرت ببعض الآلام ، ولكني تحاملت على نفسي حتى بلغت دار السيد "**سيمنجتون**" .

لابد أن "**ميجان**" كانت تراقبني ، لأنها اندفعت نحو الباب بسرعة وتعلقت بذراعي ، وكان وجهها شاحبا وجسمها ينتفض ، وقالت :

– أوه .. لقد جئت .. لقد جئت !

– تماسكي يا صغيرتي .. نعم .. لقد جئت خبريني الآن ما الذي حدث ؟

بدأت ترتجف مرة أخرى ، ولففت ذراعي حول وسطها .

وقالت بانفعال :

– أوه لقد عثرت عليها .

– وجدت "**أجنيس**" ؟ أين ؟

– تحت السلم .. في الدولاب تحت السلم .. الذي توضع فيه أدوات الصيد القديمة ، وعصي الجولف ..

أومأت برأسي ، وتابعت "**ميجان**" حديثها قائلة :

– أ .. كانت داخل الدولاب .. باردة .. باردة كالثلج .. ميتة ..

سألتها بدهشة :

– ما الذي جعلك تبحثين في ذلك المكان ؟

– أ .. لا أدري .. عندما اتصلت بنا تلفونيا بالأمس ، بدأ القلق يساورنا من أجل "**أجنيس**" ، وظللنا في انتظارها بعض الوقت ولكنها لم تعد ،

وذهبنا إلى فراشنا ..

لم أستطع النوم واستيقظت في ساعة مبكرة ، ولم أر أمامي سوى "**روز**" الطاهية .. كانت في أشد حالات القلق على "**أجنيس**" – ذهبت إلى المطبخ لأبحث عن شيء آكله ، ولم تلبث "**روز**" أن جاءتني مفزوعة لتخبرني أن ثياب الخروج التي اعتادت "**أجنيس**" أن ترتديها في الإجازة لا تزال موجودة في حجرتها .. وشعرت بالدهشة وفكرت في أن الفتاة لم تغادر البيت بالمرة ، وبدأت أبحث عنها حتى فتحت الدولاب وعثرت عليها ..

– هل أبلغ أحد الشرطة ؟

– نعم .. وهم موجودون الآن في المنزل .. اتصل بهم زوج أمي فور علمه بالأمر .. ثم .. ثم أحسست أنني لا أستطيع أن أتحمل فطلبتك .. هل ساءك ذلك؟

– لا ، بالمرة ..

نظرت إليها باستغراب ، وسألتها :

– ألم يعطك أحد بعض الشراب أو القهوة .. بعد أن عثرت على الجثة ؟

هزت "**ميجان**" رأسها نفيًا ، وصببت لعناتي على جميع أهل الدار .. ذلك الأحمق "**سيمنجتون**" لم يفكر في شيء سوى الاتصال بالشرطة ..ولم تفكر "**إيلزي هولاند**" أو الطاهية فيما يمكن أن يحدث لفتاة حساسة مثل "**ميجان**" بعد أن شاهدت ما شاهدته ، وقلت لـ"**ميجان**" :

– تعالي معي إلى المطبخ ..

توجهنا إلى المطبخ حيث كانت "**روز**" تشرب قدحا من الشاي الساخن ، وحيتنا الطاهية وبدأت تثرثر واضعة يدها فوق قلبها وهي تصف منظر الجثة

داخل الدولاب، وصرخت في وجهها قائلا :

– صبي قدحا من الشاي للآنسة "**ميجان**" .. أنت تعرفين أنها تلقت صدمة عنيفة .. هل نسيت أنها هي التي عثرت على الجثة ؟

أطاعت الأمر في الحال ، وقلت لـ"**ميجان**" :

– اشربي الشاي الآن . الا يوجد لديكم بعض الشراب يا "**روز**" ؟.

وقالت الطاهية :

– تبقى لدينا قليل من الشراب بعد عمل البودنج في الكريسماس..

وقلت لها : هذا يكفي .. أحضريه بسرعة .

صببت لـ"**ميجان**" بعض قطرات الشراب في الشاي ، ثم قلت لـ"**روز**" :

– سوف أترك الفتاة في رعايتك . هل تستطيعين العناية بها ؟

– نعم يا سيدي ..

توجهت إلى داخل المنزل وأنا لا أزال أغلي من الغضب على أهل المنزل الذين أهملوا "**ميجان**" تمام الإهمال . والتقيت في الصالة بالآنسة "**هولاند**" ، ولم يبد عليها أنها فوجئت بوجودي ورأيت الكونستابل "**بيرت راندل**" واقفا بالقرب من الباب ، وقالت "**إيلزي هولاند**" :

– أوه يا سيد "**بيرتون**" .. أليس ذلك فظيعا ؟ من الذي ارتكب هذا العمل الشنيع ؟

– إذن فهي جريمة قتل ؟

– أوه .. نعم .. ضربها القاتل على مؤخر الرأس .. كان الدم يغطي شعرها.. أوه .. يا له من منظر بشع وهي مكومة داخل الدولاب ! . من الذي قتلها ؟

ما الدافع ؟ المسكينة "**أجنيس**" .. أنا واثقة بأنها لم تؤذ أحدا قط .

– كلا ..

ادهشني أنها متمالكة هدوء أعصابها ووجهها متورد كالعادة ، وأنها تستمتع بالمأساة التي وقعت .. وقالت معتذرة :

– يجب أن أذهب إلى الولدين .. فالسيد "**سيمنجتون**" شديد القلق عليهما حتى لا يصابا بصدمة ، وهو يريد مني أن أبعدهما عن المكان .

وقلت لها :

– كانت "**ميجان**" هي التي عثرت على الجثة ..

أرجو أن يكون بعضهم يرعاها الآن ..

– أوه يا إلهي !. لقد نسيت عنها كل شيء .. أرجو أن تكون بخير .. أنت تعرف الاضطراب الذي حدث .. والارتباك الذي وقعت فيه .. لابد أن الفتاة المسكينة مضطربة غاية الاضطراب .. سوف أذهب لأطمئن عليها .

– إنها بخير .. "**روز**" تعني بها ، وعليك رعاية الولدين .

شكرتني باسمة وهي تكز على أسنانها الكبيرة مثل شواهد القبور .. إنها المسؤولة عن رعاية الولدين .. أما "**ميجان**" فهي ليست مسؤولية أحد في هذا البيت .. رأيت بابا يفتح ويخرج منه المفتش "**ناش**" قادما إلى الصالة ومن خلفه "**سيمنجتون**" ، وقال المفتش :

– أوه .. السيد "**بيرتون**" .. كنت أوشك أن أتصل بك .. أنا سعيد لأنك هنا .

لم يسألني عن سبب وجودي في المكان .. والتفت نحو السيد "**سيمنجتون**" وقال له :

– هل أستطيع أن أستخدم هذه الحجرة ؟

وقال السيد "**سيمنجتون**" : بالتأكيد .. بالتأكيد .

كان السيد "**سيمنجتون**" رغم ضخامة جسمه يبدو مرهقا وقال له المفتش "**ناش**" بمودة :

– لو أنني كنت مكانك يا سيد "**سيمنجتون**" لتناولت بعض الطعام .. سوف تشعر أنت والآنسة "**هولاند**" والآنسة "**ميجان**" بقدر كبير من التحسن لو أنك شربت قدحا من القهوة ، وتناولت البيض والروستو . جريمة القتل تكون شديدة الوطء على المعدة الخاوية .

كان المفتش يتحدث بالطريقة الودية التي يخاطب بها طبيب العائلة مرضاه، وقال السيد "**سيمنجتون**" ، وعلى فمه ابتسامة مغتصبة:

– شكرا لك يا سيدي المفتش .. سوف أعمل بنصيحتك. تبعت "**ناش**" إلى الغرفة التي اختارها ، وأغلق الباب ثم قال لي :

– لقد وصلت إلى المكان بسرعة .. كيف سمعت بالجريمة ؟

أخبرته أن "**ميجان**" اتصلت بي ، وقال :

– سمعت أنك اتصلت بالبيت تلفونيا في الليلة الماضية يا سيد "**بيرتون**" مستفسراً عن الفتاة .. لماذا ؟

أخبرته بالاتصال التلفوني الذي أجرته "**أجنيس**" مع "**باتريدج**" ثم اختفائها وقال :

– نعم .. فهمت ..

قالها ببطء ، وهو يفرك ذقنه مفكرا ، ثم تنهد وقال :

– حسن .. إنها جريمة قتل هذه المرة ، والسؤال المطروح الآن هو : ما الذي

كانت تعرفه الفتاة ؟ هل قالت شيئا لـ "**باتريدج**" ؟

– لا أظن ذلك ، ولكنك تستطيع أن تسألها .

– حسن .. سوف أحضر إلى مسكنك بعد الانتهاء من هنا .

وسألته :

– ما الذي حدث على وجه التحديد ؟ أم لعلك لم تقف على كل المعلومات بعد؟

– أعرف كل شيء تقريبا .. كان يوم راحة الخدم ..

– كلتا الخادمتين ؟

– نعم .. فقد اعتادت السيدة "**سيمنجتون**" أن تمنحهما الراحة في يوم واحد، واعتادت الخادمتان على أن تعدا لأهل البيت قبل انصرافهما وجبة عشاء بارد .. بينما تقوم الآنسة "**هولاند**" بعمل الشاي ، ونظرًا لأن الطاهية "**روز**" تقيم في "**نيذر ميكفورد**" ، وحتى تصل إلى هناك في يوم راحتها ، فلا بد لها أن تركب أتوبيس الساعة الثانية والنصف ، لهذا تقوم "**أجنيس**" دائما بتنظيف المائدة بعد الغداء ، على أن تقوم "**روز**" في مقابل ذلك بغسل الأواني في العشاء .. وهذا ما حدث بالأمس .. خرجت "**روز**" لتلحق بأتوبيس الساعة الثانية والنصف ، وذهب السيد "**سيمنجتون**" إلى مكتبه في الثالثة إلا الثلث ، وخرجت "**ميجان**" لنزهة بالدراجة بعده بخمس دقائق .. هكذا كانت "**أجنيس**" وحدها في البيت ، وعلى قدر ما أعرفه تغادر البيت عادة بين الثالثة والثالثة والنصف .

– ويتركون البيت خاليا ؟

– الناس لا يقفلون على بيوتهم هنا ويتركونها مفتوحة وكما ذكرت كانت

"**أجنيس**" في البيت في الساعة الثالثة إلا عشر دقائق ، ومن الواضح أنها لم تغادر البيت قط ، لأنهم عندما عثروا على جثتها كانت ترتدي مريلة العمل والكاب .

– هل تستطيع أن تحدد موعد ارتكاب الجريمة ؟

– يقول الدكتور "**جريفيث**" : إن الجريمة وقعت بين الثانية والرابعة والنصف ..

– كيف حدث القتل ؟

– في البداية ضربها القاتل على مؤخر الرأس ، ثم طعنها بعد ذلك بسيخ مدبب في أسفل الجمجمة ، فماتت في الحال .

أشعلت سيجارة ، لم تكن الصورة سارة .. وسألت :

– من الذي قتلها ؟ ولماذا ؟

– لا أعتقد أننا سوف نعرف الدافع على وجه التحديد ، ولكننا نستطيع أن نخمن .

– هل كانت تعرف شيئا ؟

– كانت تعرف بعض المعلومات .

– ألم تصرح لأحد هنا بشيء ؟

– كلا على قدر ما أعرف .. كانت مضطربة .. هكذا تقول الطاهية .. منذ موت السيدة "**سيمنجتون**" .. وكان قلقها يتزايد مع مرور الوقت ، وكانت تقول إنها لا تعرف ما ينبغي عليها أن تفعله .

تنهد المفتش بعمق ثم استرسل قائلا :

– هكذا الحال دائما .. لا يأتون إلينا .. ولو أن الفتاة جاءتنا وأخبرتنا بما

يقلقها لكانت اليوم على قيد الحياة .

– ألم تذكر شيئا للطاهية ؟

– كلا .. أو هذا ما تقوله "**روز**" ..

وقلت له إن الأمر يبعث على الجنون ، وقال المفتش :

– رغم هذا فباستطاعتنا أن نخمن يا سيد "**بيرتون**" .. نظرت إليه باحترام قائلا :

– هذا عمل طيب يا سيدي المفتش .

– إنني أعرف شيئا لا تعرفه يا سيد "**بيرتون**" .. كان المفروض أن يكون الخدم في الخارج بعد ظهر اليوم الذي انتحرت فيه السيدة "**سيمنجتون**" ، فقد كان يوم راحتهم ، ولكن "**أجنيس**" عادت إلى البيت .

– هل تعرف ذلك ؟

– نعم .. اختلفت الفتاة مع صديقها لأنه تلقى رسالة من تلك الرسائل تقول :

إن "**أجنيس**" على علاقة بشاب آخر .. وحدثت بينهما مشاجرة ورجعت الفتاة إلى البيت غاضبة ، وأصرت على عدم الخروج ما لم يأت "**فريد**" صديقها ويعتذر لها . يواجه المطبخ مؤخر البيت ، بينما يواجه مخزن المؤن المكان الذي تراه الآن ، وتوجد بوابة واحدة ، إما أن تنفذ منها لتصل إلى الباب الامامي للمسكن أو تسلك الممر الذي يقع على جانب البيت لتصل إلى الباب الخلفي ..

سكت المفتش برهة ثم أردف يقول :

– لم تصل الرسالة إلى السيدة "**سيمنجتون**" عن طريق البريد رغم وجود

طابع بريد عليها حتى يبدو أن موزع البريد هو الذي جاء بها .. هل تفهم ما أعنيه؟

قلت له ببطء :

– معنى هذا أنه وضع باليد في صندوق البريد ..

– تماما .. حدث ذلك قبيل موعد توزيع البريد بعد الظهر في الوقت الذي كانت الفتاة تنظر فيه من نافذة مخزن المؤن في انتظار وصول صديقها ليعتذر لها .

– وبهذا رأت الشخص الذي يكتب تلك الرسائل المجهولة ؟

– هذا ما أخمنه يا سيد "**بيرتون**" وربما أكون مخطئا .

– لا .. لست مخطئا .. هذه نظرية سهلة ومقنعة .. ولكن لماذا لم ..

قاطعني المفتش بسرعة قائلا :

– لم تفطن الفتاة إلى حقيقة ما تراه في تلك اللحظة .. رأت شخصا يضع رسالة في الصندوق ، وهو شخص لم تكن تحلم أن تكون له صلة بما يجري من الأحداث، أو بعبارة أخرى .

شخصية فوق مستوى الشبهات ، وعندما بدأت تفكر في الأمر بدأ قلقها يتزايد وفكرت في استشارة أحد .. فكان اتصالها بـ"**باتريدج**" .. وهنا كان على كاتب الرسائل المجهولة أن يتحرك ..

سألني المفتش عن الأشخاص الذين استمعوا إلى الحديث التلفوني ، وأخبرته :

– أختي وربما الآنسة "**جريفيث**" .

– آه .. الآنسة "**جريفيث**" .. هل كانت موجودة وقتها ؟

شرحت له ما حدث ، وسألني عما إذا كانت ذاهبة إلى القرية ، وأخبرته أنها كانت تنوي الذهاب إلى السيد "**باي**" وقال المفتش إن الخبر بهذا يمكن أن يتسرب عن طريقين

وقلت بدهشة :

– هل تعني أن الآنسة "**جريفيث**" أو السيد "**باي**" قد يكون أذاع سر تلك المكالمة؟

أكد المفتش أنه في مكان صغير كهذا تنتشر الأنباء بسرعة كما قال إن "**فريد**" صديق "**أجنيس**" قد يكون أذاع النبأ كذلك ثم أضاف المفتش :

– معنى هذا أن الدائرة تضيق .. ونستطيع أن نحصر شبهاتنا في عدد محدود من الأشخاص ..

وقال المفتش إنه يستبعد ناظرة المدرسة ، والممرضة لأنه واثق بأنهما كانتا مشغولتين بعملهما ، وسألته عن رأيه فيما حدث بالأمس ، وقال :

– يتلخص رأيي في أن سيدة اتجهت نحو الباب الأمامي وضربت الجرس، وربما تكون سألت عن الآنسة "**هولاند**" او الآنسة "**ميجان**" وهي تحمل طردا، وعندما استدارت "**أجنيس**" ضربتها السيدة على مؤخر رأسها ثم طعنتها في أسفل الجمجمة .

– وهل تكون تلك مهمة بالنسبة لامرأة ؟

– لا تنس أن تلك سيدة غير عادية و"**أجنيس**" نحيلة ولم تكن تشك في سوء نية القادمة ..

وعندما سألته عن السبب الذي دفع القاتلة إلى إخفاء الجثةداخل الدولاب قال :

– حتى لا يتم اكتشاف الجثة بسرعة وبهذا لا يستطيع الطبيب أن يحدد موعد الوفاة .

– وماذا لو ان "**أجنيس**" ارتابت في السيدة ؟

– كلا .. لم تكن لترتاب وهي فتاة ساذجة .. ولم تكن تتصور أنها أمام سيدة يمكن أن تقتل .

– هل كنت تشك في ذلك ؟

– كان ينبغي أن أفعل .. أثار انتحار السيدة "**سيمنجتون**" فزع هذه السيدة .. هكذا ترى أننا الآن أمام شخصية محترمة وذات مركز اجتماعي مرموق .

أخبرني "**ناش**" أنه سيقابل "**روز**" ، وسألته عما إذا كان باستطاعتي أن أرافقه ورحب بذلك ، وقلت ضاحكا :

– في الروايات عندما يرحب مفتش الشرطة بتعاون أحد الاشخاص يكون هذا الشخص في العادة هو القاتل !

ضحك "**ناش**" وقال :

– بصراحة ، وجودك معنا مفيد للغاية ، فانت غريب هنا وباستطاعتك أن تندس بين الناس وتعرف الكثير . ولا تنس أن السيدة التي نبحث عنها بالغة الخطورة وقلت للمفتش :

– يجب أن نتخذ خطوات سريعة .

– نعم .. وتأكد أننا نعمل على محاور مختلفة في سبيل إماطة اللثام عن هذه الجريمة .

كانت "**روز**" مشغولة بتنظيف الصحون ، وبدأت تثرثر متحدثة عن

تفاصيل ما حدث في الاسبوع الماضي وكيف كانت "**أجنيس**" مرعوبة ولكنها لم تفش سر فزعها . ولم يخرج المفتش بجديد .. وخرجنا من المطبخ نبحث عن "**إيلزي هولاند**" ووجدناها تراجع الدروس للولدين ، وبعد أن شغلت الولدين بحل بعض مسائل الحساب ، سالها المفتش عما إذا كانت "**أجنيس**" قد صرحت لها عن أسباب مخاوفها بعد انتحار السيدة "**سيمنجتون**" وقالت :

– لا .. فقد كانت قليلة الكلام ..

– هل تستطيعين أن تذكري لي ما حدث على وجه التحديد بعد ظهر الأمس؟

قالت المربية إنهم تناولوا الغداء في الواحدة ، وخرج السيد "**سيمنجتون**" ليذهب إلى مكتبه ، ثم صحبت الولدين في رحلة لصيد السمك ، وتذكرت في الطريق أنها نسيت الطعم فعادت لتاخذه ، وسالها المفتش :

– هل رأيت عند عودتك "**ميجان**" أو "**أجنيس**" ؟

– كانت "**ميجان**" قد خرجت ولم ار "**أجنيس**" .

– هل اعتدت على إعداد الشاي بعد ظهر الأربعاء ؟

– نعم .. أعد الشاي للسيد "**سيمنجتون**" عند عودته من الخارج .. ونتناول الشاي أنا والولدين في غرفة الدرس .. و"**ميجان**" أيضا ..

– متى عدت من الخارج ؟

– في الخامسة إلا عشر دقائق .. بدأت أعد الشاي ووصل السيد "**سيمنجتون**" الذي أخبرني أنه سيتناول الشاي معنا مما جعل الولدين يهللان :

– ألم تلاحظي أي شيء غير عادي عند عودتك إلى المنزل ؟

– كلا يا سيدي المفتش . لا شيء بالمرة .. لم نكن نتصور أن الفتاة المسكينة ترقد جثة هامدة داخل الدولاب .

وعندما سألها عما حدث في الأسبوع السابق قالت :

– خرجت مع الولدين في نزهة إلى البراري كالعادة ..

وعدت متأخرة عن موعدي بعض الشيء ، ولمحت السيد **"سيمنجتون"** قادما من مكتبه ، ولم أكن قد بدأت في إعداد الشاي بعد ..

– ألم تصعدي إلى حجرة السيدة **"سيمنجتون"** ؟

– أوه كلا .. أنا لم أفعل ذلك قط .. فقد اعتادت أن ترتاح بعد الغداء .. فقد كانت تصاب بآلام عصبية بعد الأكل ، ووصف لها دكتور **"جريفيث"** بعض الأقراص تتناولها ثم تحاول النوم ..

قال **"ناش"** إنه يسأل سؤالا عارضا :

– معنى هذا أن أحدا لا يحمل إليها البريد ؟

– بريد بعد الظهر ؟ كلا .. هي التي تنزل لتأخذه بنفسها .. كانت تستيقظ عادة في حوالي الرابعة .

– ألم تفكري في أن شيئا قد حدث لها عندما لم تنزل من حجرتها ؟

– كلا يا سيدي .. لم أكن أتصور أن شيئا قد يحدث لها . كان السيد **"سيمنجتون"** يخلع سترته وأخبرته أن الشاي لم يجهز بعد، وسمعته ينادي: **"مونا"** .. **"مونا"** .. وعندما لم تجبه زوجته صعد إلى غرفتها ولابد أنها كانت صدمة شديدة له .. ناداني وطلب مني أن أبعد الولدين ثم أتصل بدكتور **"جريفيث"** ..

يا إلهي ! . كان شيئا فظيعا خصوصا وأنها كانت مبتهجة أثناء الغداء .

سألها **"ناش"** بحذر :

– ما رأيك في الرسالة التي وصلت إليها يا آنسة **"هولاند"** ؟

قالت **"إيلزي هولاند"** بأنفة :

– أوه .. أعتقد أنه شرير .. شرير ..

– ليس هذا ما أعنيه .. هل تعتقدين أن ما جاء فيها صحيح ؟

قالت **"إيلزي هولاند"** بحزم :

– لا بالتأكيد .. ولكن السيدة **"سيمنجتون"** كانت حساسة للغاية ، وعندما قرأت الرسالة صدمت صدمة بالغة .. التزم المفتش الصمت برهة ثم قال :

– هل تلقيت شيئا من تلك الرسائل ؟

– لا .. لا .. لم أتلق رسالة واحدة ..

– هل أنت واثقة ؟ لا تتسرعي بالإجابة .. أعرف أن بعض الناس لا يحبون الاعتراف بمثل هذه الأمور ، ولكن من المهم جدا في مثل هذه الحالات أن نعرف .. نحن نعرف أن ما تذكره الرسائل غير صحيح ، لهذا لا داعي للقلق.

– ولكنني لم أتلق شيئا يا سيدي المفتش ..

كانت ترفع رأسها بكبرياء ، وكانت تبدو صادقة ، وعند انصرافنا قال لي المفتش:

– تقول إنها لم تتسلم واحدة من تلك الرسائل ويبدو أنها قالت الحقيقة .

وعندما أخبرته أنني أصدقها ، قال :

– أريد أن أعرف لماذا لم يصلها شيء من تلك الرسائل .

فهي فتاة حسناء .. أليس كذلك ؟

- بلى هي أكثر من حسناء ..

- تماما .. وكان ينبغي أن تكون عرضة أكثر من غيرها لتلك الرسائل المسمومة .. لماذا تركتها كاتبة الرسائل المجهولة ؟

سوف أذكر هذه الحقيقة للمفتش **"جريفز"** .

وقلت له : هناك شخص آخر لم يتسلم شيئا من هذه الرسائل .. الآنسة **"بارتون"** ..

ابتسم المفتش وأخبرني أنني مخطئ ، فقد علم من **"فلورنس"** أن مخدومتها السابقة تلقت رسالة ، ولكنها أنكرت خجلا من ذكر العبارات البذيئة التي وردت في الرسالة ، وعندما سألته عن مضمون الرسالة ، أخبرني أنها تضمنت اتهامها بدس السم لأمها وأخواتها ، وعندما قلت للمفتش أعتقد أن كاتبة الرسائل سوف تتوقف الآن ، أكد لي أنها ستستمر وأن تلك هي الفرصة التي ينتظرها ليوقع بها .

- 9 -

التقيت بـ**"ميجان"** قبل مغادرتي المنزل ، وعرضت عليها العودة معي لبعض الوقت ولكنها أصرت على البقاء في منزلها لمساعدة الولدين ، ولكنها قالت :

- إذا حدث أي شيء فهل أستطيع الاتصال بك ؟

وهل تأتي ؟

قلت لها بحرارة :

- بالتأكيد .. ولكن أي شيء كريه تتوقعين حدوثه ؟

- لا أدري .. ولكن ألا ينتظر حدوث شيء آخر ؟

أشفقت على ترك الفتاة ولكنني فكرت أن **"إيلزي هولاند"** سوف ترعاها منذ اللحظة ..

رافقني المفتش إلى البيت ، ورويت لـ**"جوانا"** ما حدث بينما ذهب **"ناش"** لمقابلة **"باتريدج"** ، وعاد عابس الوجه قائلا إنه لم يظفر من الخادمة بجديد ، سوى أنها أخبرت الخادمة المساعدة بحديث **"أجنيس"** ، وأن السيدة **"إيموري"** قد أذاعت الخبر ، وتساءلت في دهشة عن سبب توجيه الرسائل المجهولة إليّ وأنا وأختي غرباء لا توجد عداوة بيننا وبين أحد ، وقال المفتش :

- أنت لا تعرف طبائع هؤلاء الناس . إنهم يحقدون على البشرية كلها وليس على إنسان معين .

انصرف المفتش وبقيت وحدي مع **"جوانا"** التي اقترحت عليّ أن أقوم بجولة في القرية لأستمع إلى ما يقوله الناس وسألتني **"جوانا"** قبل خروجي :

- هل هم واثقون بأن كاتب الرسائل امرأة ؟

وقلت لها بدهشة :

- هل تتصورين أن كاتبها رجل ؟

- لا .. ليس مجرد رجل عادي . ألا يحتمل أن يكون السيد **"باي"** ؟

- ولكنه تلقى رسالة من تلك الرسائل .

- هذا ما يقوله وقد يكون ممثلا قديرا ..

كانت **"جوانا"** على حق عندما نصحتني بالذهاب إلى القرية ، فقد كان الناس في الشوارع يتحدثون عن الجريمة ، وكان الدكتور **"جريفيث"** أول من التقيت به ، وكان متجهماً وسألته عما إذا كان يشك في أحد معين ، وقال

بشرود :

– كلا .. لا أرتاب في شخص معين .

والتقيت بعد ذلك بـ"**إيمي جريفيث**" التي بادرتني بقولها :

– شيء فظيع . سمعت أنك كنت هناك .. ماذا كنت تفعل في ذلك الوقت المبكر ؟

لم أشأ أن أخبرها أن "**ميجان**" اتصلت بي ، وبدلا من ذلك سألتها عما قالته لـ"**ميجان**" وكان السبب في عودتها إلى بيتها ، فقالت إن فتاة في مثل سنها لابد أن تقوم بعمل نافع ، وانها ألحت إليها أن وجودها في البيت أمر ضروري بدلا من أن تترك زوج أمها وحده مع "**إيلزي هولاند**" ، ثم تطرق الحديث إلى المربية وقالت "**إيمي جريفيث**" إن الشائعات بدأت تروج حول تفكير "**إيلزي هولاند**" في أن تكون الزوجة الثانية للسيد "**سيمنجتون**" ، ثم قالت :

– أنا ألومها عندما تفكر على هذا النحو .. فهي تتطلع إلى أن تكون ربة بيت مستقر .. ولكن السيد "**سيمنجتون**" المسكين غير منتبه إليها بعد الصدمة التي تلقاها .. وهي تبذل كل ما في وسعها لكي تثير انتباهه وتلفت نظره إلى أنه في أشد الحاجة إلى وجودها ، ضحكت "**إيمي**" قائلة :

– لعلك في دهشة شديدة يا سيد "**بيرتون**" للطريقة التي يفكر بها الناس هنا .. ولكنهم يفكرون دائما في الأسوأ ..

التقيت بعد ذلك بالسيد "**باي**" وهو يتبادل الحديث مع الآنسة "**إميلي بارتون**" بالقرب من الكنيسة ، وسألني عن أختي ولماذا لا تشارك أهل القرية في حديثهم عن الجريمة التي وقعت وعندما وصفت الآنسة "**إميلي**" الجريمة

بالبشاعة ، قال لها السيد "**باي**" :

– ولكنك تحسين في أعماق نفسك بالسعادة بدافع الإثارة التي صاحبت الجريمة .

وقالت الآنسة "**بارتون**" :

– كانت فتاة مسكينة ساذجة .. جاءتني من الملجأ وكانت "**باتريدج**" مسرورة منها ..

وقلت لها :

– كانت ذاهبة بالأمس لتتناول الشاي مع "**باتريدج**" .. أعتقد أنها أخبرتك بذلك ؟

وقالت الآنسة "**بارتون**" على الفور :

– نعم .. أخبرتني بذلك .. وهذا شيء جديد علينا .. أن يستخدم الخدم تلفونات مخدوميهم ..

وقال لها السيد "**باي**" : أنت سيدة متخلفة عن العصر ..

وخوفا من أن يستمر الحديث حول الخدم ، قالت :

– لقد انتشرت أنباء الجريمة بسرعة مذهلة .. وقال السيد "**باي**" :

– بالتأكيد .. بالتأكيد .. هكذا أصبحت "**ليمستوك**" .. رسائل مجهولة وجرائم قتل .

وسألت "**إميلي بارتون**" : هل يفكر رجال الشرطة في وجود علاقة بين انتحار السيدة "**سيمنجتون**" ومصرع الخادمة ؟

وعلق السيد "**باي**" على ذلك بقوله :

– ربما لقيت الفتاة مصرعها لأنها كانت تعرف شيئا ..

وقالت الآنسة "**بارتون**" وهي تنصرف مسرعة :

– لا أستطيع أن أحتمل أكثر من هذا .. لا أستطيع .. تابعها السيد "**باي**" بنظراته قائلا :

– سيدة رائعة .. إنها تنتمي إلى جيل القرن الماضي ..

تابعت السيد "**باي**" بنظراتي وهو يبتعد ، بينما تحت القس "**كاليب كالثروب**" خارجا من باب الكنيسة ، وألقيت عليه التحية وسألته عما إذا كان قد سمع عن الرسائل المجهولة والجريمة التي وقعت ، وقال القس بأسى :

– إنها أعمال تدل على الجبن والخسة ..

لم أجد شخصيات أخرى أستطيع أن أستفيد من التحدث معها ، وعدت إلى المنزل ووجدت "**جوانا**" تفحص بعض الصور الطبية التي تركها لها الدكتور "**جريفيث**" ، وسألتها عن الطبيب فقالت إنه يشعر بالتعاسة ، وقلت لها :

– أعتقد أنه مشغول بالتفكير فيك .. لقد ابتلع الطعم !

قالت "**جوانا**" بانفعال :

– اسكت .. أنا لم أفعل شيئا ..

– هكذا تقول النساء دائما ..

أمسكت بالصورة التي كانت "**جوانا**" تفحصها وأردت أن أضعها تحت أحد الكتب الضخمة حتي أسوى أطرافها غير المستوية ، واخترت كتابا ضخما للمواعظ ، وانفتح الكتاب بين يدي بطريقة غريبة ، وعرفت على التو السبب فقد كانت بعض الصفحات منزوعة من منتصف الكتاب ..

نظرت إلى صفحة العنوان وعرفت أن الكتاب منشور عام 1840 .. لقد

كنت أنظر إلى الكتاب الذي انتزعت منه الكلمات التي تشكل مضمون الرسائل المجهولة ، وتساءلت : من الذي انتزع الصفحات ؟ ربما تكون "**إميلي بارتون**" نفسها ، أو قد تكون "**باتريدج**" .

ولكن كانت هناك احتمالات أخرى .. كان أي شخص أتيحت له فرصة البقاء وحده في الغرفة يستطيع أن يفعل ذلك .. أو يستطيعه زائر له مكانة اجتماعية .. أهو السيد "**باي**" ؟ "**إيمي جريفيث**" ؟ السيدة "**دين كالثروب**" ؟

اطلعت "**جوانا**" على اكتشافي ؟ وقلبنا الأمر على كافة وجوهه ، وحملت الكتاب إلى مركز الشرطة .. ورحبت الشرطة بالاكتشاف . اتصل "**ناش**" بالمفتش "**جريفز**" الذي لم يكن موجوداً للبحث عن بصمات أصابع على الكتاب وإن كان الأمل ضعيفاً .

سألت المفتش "**ناش**" عما توصل إليه ،وقال :

– حصرنا الشبهات في عدد محدد بعد استبعاد من لا تشير إليهم أصابع الاتهام ..

وسألته : ومن بقي من الأشخاص ؟

– الآنسة "**جينشي**" ، فقد كانت على موعد مع أحد العملاء في مكان قريب من بيت السيد "**سيمنجتون**" ، وكان يمكن أن تمر على المنزل في طريق ذهابها وعودتها .. الأسبوع السابق في اليوم الذي انتحرت فيه السيدة "**سيمنجتون**" كان آخر يوم لعملها في مكتب السيد "**سيمنجتون**" .. تذكر السيد "**سيمنجتون**" في البداية أنه لم يغادر مكتبه طوال فترة بعد الظهر في ذلك اليوم ، فقد كان معه السيد "**هنري لاشنجتون**" طوال الوقت

واتصل بالآنسة "**جينش**" أكثر من مرة وعرف أنها خرجت لتشتري بعض طوابع البريد وكان باستطاعتها أن ترسل الساعي ولكنها قالت إنها كانت في حاجة إلى استنشاق بعض الهواء العليل ، ولكنها لم تغب في الخارج طويلا ، ولكنه وقت يكفي للمرور على المنزل وترك الرسالة في صندوق البريد .

وسألته : ومن أيضا تضمه قائمة اتهامك ؟

قال المفتش : أنت تفهم بالتأكيد أننا لا نستثني أحدا .. أما بالنسبة للآنسة "**جريفيث**" فقد ذهبت بالأمس لحضور اجتماع مع المرشدات ورجعت في وقت متأخر ..

– وماذا بشأن تحركاتها في الأسبوع الماضي ؟ هل كان باستطاعتها المرور على البيت وترك رسالة ؟

– هذا محتمل ، فقد كانت في جولة مشتريات في المدينة وينطبق نفس الشيء على الآنسة "**إميلي بارتون**" ..

هززت رأسي غير مصدق ، فقد كان العثور على الكتاب في البيت مقصودا منه بذر الشكوك حولها .. سكت المفتش برهة ثم أردف يقول :

– وهناك السيد "**باي**"

وقاطعته قائلا بانفعال : والسيد "**باي**" أيضا ؟

ابتسم "**ناش**" وهو يقول :

– أوه نعم .. فهو شخصية غريبة الأطوار وليس لديه شهود .. فقد كان في الحديقة وحده في كلتا المناسبتين .

إذن فأنت لا تحصر شبهتك في النساء فقط ؟

– أنا شخصيًا لا أعتقد أن رجلا هو الذي كتب الرسائل ويشاركني

"**جريفز**" هذا الرأي .. لقد بحثنا تحركات جميع الأشخاص بالأمس ، فهذه جريمة قتل .. وكذلك بالنسبة لأختك .. والسيد "**سيمنجتون**" لم يغادر مكتبه منذ وصوله ، بينما كان الدكتور ..."**جريفيث**" في جولة لزيارة بعض المرضى وقد تأكدنا من ذلك ..

وقلت له ببطء :

– إذن فقائمتك تتضمن هؤلاء الأربعة : الآنسة "**جينش**" السيد "**باي**" ، الآنسة "**جريفيث**" والآنسة "**بارتون**" ؟

– أوه كلا .. لدينا اثنان آخران بالإضافة إلى زوجة القس .

– هل فكرت في زوجة القس أيضا؟

– فكرنا في جميع الأشخاص ، ولكن السيدة "**دين كالثروب**" تكاد تكون أقرب إلى الجنون ، ويمكن أن تكون مرتكبة الجريمة ، وكانت تراقب الطيور بعد ظهر الأمس ، ولا تستطيع الطيور أن تشهد على ذلك .

استدار المفتش بحدة نحو "**أوين جريفيث**" الذي وصل إلى مركز الشرطة قائلا إنه سمع أن المفتش سأل عنه في الصباح ، وقال له المفتش :

– ستعقد جلسة التحقيق يوم الجمعة ، هل يناسبك هذا الموعد ؟

– يناسبني ، وسوف أجري تشريح الجثة مع "**مورسي**" هذا المساء ..

- 10 -

عقدت جلسة التحقيق بحضور جمع غفير من أهل المنطقة ، وكان القرار الذي صدر : الفاعل شخص أو أشخاص مجهولون .. وعادت "**ليمستوك**" تستأنف حياتها كما كانت من قبل . ولكن كلا ،، كان الجار ينظر إلى جاره

بارتياب ، فقد ذكر صراحة في التحقيق أن غريبا لم يدخل القرية ، ومن ثم فالقاتل حر يتجول في القرية ولا أحد يعرف من يكون . .

وهكذا كنت أجلس مع "**جوانا**" في المساء ندرس كل الاحتمالات .

أهو السيد "**باي**" ؟ الآنسة "**جينش**" ؟ السيدة "**دين كالشروب**" ؟ "**إيمي جريفيث**" ؟ "**إميلي بارتون**" ؟ "**باتريدج**" ؟

كنا في حالة عصبية نترقب حدوث شيء . . وقل ظهور المفتش "**ناش**" بينما عاد "**جريفز**" . .

جاءت "**إميلي بارتون**" لتشرب معنا الشاي ، وجاءت "**ميجان**" لتتناول معنا الغداء ، واستمر "**أوين جريفيث**" في زيارة مرضاه وذهبنا نشرب كاسا من الشراب مع السيد "**باي**" ، ثم ذهبنا إلى منزل القس لشرب الشاي . . وقد أسعدني أن السيدة "**دين كالشروب**" لم تقابلنا بخشونة ، وكانت جلسة هادئة ، حضرتها ضيفة كانت تنزل عند القس ، وهي سيدة عجوز بشوشة ، وتحدثنا عن أشياء كثيرة ولكن الموضوع الرئيسي ظل يتركز حول الجريمة . .

كانت الضيفة – الآنسة "**ماربل**" – مهتمة بالموضوع ، وقالت للسيدة "**دين كالشروب**" :

– ولكن خبريني . . ماذا يقول أهل القرية وفيم يفكرون ؟

قالت "**جوانا**" : اعتقد انهم يرجحون أن تكون السيدة "**كليت**" .

وقالت السيدة "**كالشروب**" : . أوه . . كلا . . ليس الآن .

وسألت الآنسة "**ماربل**" عمن تكون السيدة "**كليت**" وقالت "**جوانا**" إنها عرافة القرية ، وأضافت السيدة "**كالشروب**" إنها تخرج في الليالي التي يكتمل فيها القمر لتجمع الأعشاب وتحرص على أن يراها الناس ، وسألت لماذا

لا يشتبهون فيها الآن ؟ وقالت الآنسة "**ماربل**" :

– سمعت أن القتل تم بسيخ مدبب وهذا يستبعد السيدة "**كليت**" ، لأنها كانت تستطيع أن تسحر الفتاة لو أنها كانت تستهدف قتلها :

وتطرق الحديث إلى الحلم الذي رآته بشان زواج الدكتور "**جريفيث**" من "**إيلزي هولاند**" وصراخ السيدة "**كالشروب**" مطالبة بوقف الزواج ، فيما عدا أن السيدة "**كالشروب**" كانت تناديني بالعقل طالبة وقف هذا الأمر .

سكتت الآنسة "**ماربل**" برهة ثم قالت :

– لارتكاب جريمة بنجاح ، يكون على الإنسان أن يستخدم حيلة مثل حيل السحرة . .

– تعنين أن سرعة استخدام اليد تخدع العين ؟

– ليس هذا فحسب . . عليك أن تجعل الناس ينظرون إلى الشيء الخطأ في المكان الخطأ . .

وعلقت على ذلك بقولي :

– يبدو أن أنظار الجميع اتجهت إلى المكان الخطأ بحثا عن شخص مجنون مطلق السراح .

قالت الآنسة "**ماربل**" بهدوء :

– من رأيي أن البحث يجب أن يتجه نحو شخص عاقل تماما . .

وقلت مفكرا :

– نعم . . هذا ما قاله "**ناش**" ، وأضاف أنها شخصية محترمة تتمتع بمركز اجتماعي مرموق .

هزت الآنسة "**ماربل**" رأسها مؤمنة وهي تقول :

– هذه نقطة على درجة كبيرة من الاهمية .

وقلت للسيدة "**كالثروب**" :

– الاتزالين تشعرين بالعطف نحو كاتب تلك الرسائل المجهولة ؟

احمر وجهها وهي تقول : ولم لا ؟

قالت الآنسة "**ماربل**" باهتمام :

– اليست هذه مربية اطفال السيد "**سيمنجتون**" تلك الفتاة التي رأيتها في الحلم يا سيد "**بيرتون**" ؟

– بلى .. هي ...

– من المحتمل أن تكون وصلتها بعض الرسائل ولكنها لا تعترف بذلك ..

وقلت بلهجة التاكيد : كلا .. وهذا رأي "**ناش**" أيضا .

وقالت الآنسة "**ماربل**" بدهشة : يا إلهي !. هذا أمر مثير حقا . إنه أغرب شيء سمعته ..

اخبرتني "**جوانا**" في طريق عودتنا إلى المنزل أنه لم يكن ينبغي لي أن اتحدث عما قاله "**ناش**" بشان الرسائل المجهولة لان السيدة "**دين كالثروب**" إحدى المشتبه فيهم ، وعدنا نتناقش في الجريمة من جديد ..

كنت بعد يومين في طريق عودتي من "**إكسهامبتون**" ، كان الوقت مساء عندما وصلت إلى البلدة ، ووجدت أمامي معهد السيدات غارقا في الظلام والطرق خالية من المارة ، وخيل إليّ أنني شاهدت شبحا يتسلل من بوابة المعهد ، ودفعني الفضول إلى استطلاع الأمر ..

كانت البوابة نصف مفتوحة ، وترجلت من السيارة ، ودفعت الباب ورأيت ممرًا قصيرًا وأربع درجات تؤدي إلى الباب ، وقفت برهة مترددًا ، وسمعت

فجأة صوت خشخشة كتلك التي تصدر عن ثوب امرأة . اتجهت بسرعة نحو مصدر الصوت في ركن المبنى ، ولكنني لم أر أحدا ، استمررت في طريقي ووجدت نفسي في مؤخر المبنى ولمحت على بعد قدمين نافذة مفتوحة ، تسللت إلى النافذة وأرهفت أذني لانصت ، ولم أسمع شيئا ولكنني أحسست أن شخصًا موجود بالداخل ، لم تكن حالتي الصحية تسمح لي بحرية الحركة ، ورغم ذلك رفعت جسمي وتسلقت النافذة وهبطت بخفة في الداخل..

تسمرت في مكاني برهة ومشيت في الظلام مادا ذراعي أمامي وسمعت أمامي جهة اليمين صوتا خافتا أخرجت من جيبي مصباحا كشافا وأشعلته وسمعت في الحال صوتا حادا يامرني بإطفاء المصباح ونفذت الأمر على الفور، حيث عرفت انه صوت المفتش "**ناش**" ، قبض المفتش على ذراعي بخشونة وقادني إلى الممر حيث لا توجد نافذة تكشف وجودنا لمن يكون في الخارج ، ثم قال لي بغضب :

– ألم تجد غير هذه اللحظة حتى تدخل فيها يا سيد "**بيرتون**" ؟

اعتذرت له قائلا إنه خيل لي أنني وراء الشخص المطلوب :

وقال :

– هذا محتمل ، هل رأيت أحدا ؟

– لست متاكدا ولكنني سمعت حفيف ثوب امرأة .

أوما "**ناش**" براسه وقال :

– نعم .. سبقك شخص إلى المنزل وتردد قليلا بالقرب من النافذة ولكنه انسحب بسرعة عندما فطن إلى وجودك .

اعتذرت له مرة أخرى ، وقال "**ناش**" :

– أنا أتصرف على أساس أن كاتبة الرسائل المجهولة لن تتوقف .. إنها قد تكون شديدة الخطورة .. معها الصفحات المنزوعة من الكتاب يمكن أن تصوغ منها مادة الرسائل ، ولكنها حريصة على أن تكون الكتابة على الظرف مطابقة للرسائل الماضية ، ولا تستطيع أن تغامر باستخدام آلة كاتبة أخرى أو كتابة العنوان بخط يدها .

وسألته بدهشة : هل تعتقد حقا أنها ستستمر في الكتابة ؟

– نعم .. فهي شديدة الثقة بنفسها ، وقد توقعت مجيئها إلى معهد السيدات بعد حلول الظلام لاستخدام الآلة الكاتبة .

وسألته : أتعتقد أنها الآنسة "**جينشي**" ؟

– هذا محتمل .

– ألم تتأكد بعد ؟

– نعم .. لم أتأكد ولكنها امرأة شديدة المكر والدهاء ..

اعتذرت للمفتش للمرة الثالثة ، وقال إن ما حدث قد حدث ولعله يكون توفيقًا في المرة القادمة .

خرجت وتوجهت إلى سيارتي ، وفوجئت بـ "**ميجان**" واقفة بالقرب من السيارة، وسألتها عما تفعله في هذا الوقت ، قالت إنها خرجت للمشي ليلاً حيث يكون الجو هادئًا ولا يصادف الإنسان من يقطع عليه حبل تأمله ، وقلت لها :

– سوف يقلقون عليك في المنزل .

– كلا .. إن أحدا لا يسأل ماذا أفعل ولا إلى أين أذهب !

وسألتها عما إذا كانت الآنسة "**هولاند**" تعنى بها فقالت :

– نعم .. إنها حمقاء لا تستطيع أن تغير جلدها .

دعوتها لركوب السيارة حتى أوصلها إلى البيت ، ووجدت "**ميجان**" مخطئة عندما أخبرتني أن أحداً لا يهتم بها ، فقد كان السيد "**سيمنجتون**" واقفا أمام باب البيت ، وسألني عما إذا كانت "**ميجان**" معي ، وقلت له إنني أحضرتها إلى البيت، وقال لها بخشونة :

– لا ينبغي لك أن تغادري البيت دون أن تخبري أحدا ..

فقد كانت الآنسة "**هولاند**" شديد ة القلق عليك ..

همهمت الفتاة بكلمات غير واضحة وأسرعت إلى الداخل وقال لي السيد "**سيمنجتون**" بمرارة:

– إنها "مسؤولية ضخمة وجود شابة محرومة من أمها .. وقد تجاوزت السن التي يمكن أن ترسلها فيها إلى المدرسة ..

رمقني السيد "**سيمنجتون**" بارتياب ثم قال :

– هل أخذتها معك في نزهة بالسيارة ؟

رأيت من الأفضل أن أترك الأمور عند هذا الحد .

- 11 -

عندما أنظر إلى الأحداث التي وقعت لي في اليوم التالي أشعر أنني أصبت بنوبة من الجنون .. حل الموعد الشهري الذي أعود فيه إلى "**لندن**" لاستشارة طبيبي دكتور "**ماركوس كنت**" ، فوجئت برفض "**جوانا**" أن تصحبني في الرحلة . وركبت السيارة لأتركها في محطة "**ليمستوك**" حتى أعود من

رحلتي إلى "**لندن**" بالقطار ، وبينما كنت في طريقي إلى المحطة ، رأيت "**ميجان**" تسير في الطريق .. وأخبرتني أنها تتنزه سيرا على الأقدام ، وعرضت عليها مرافقتي في السيارة إلى المحطة ، وتركت السيارة وذهبت إلى شباك التذاكر واشتريت تذكرة ، ثم صعدت إلى إحدى مقصورات الدرجة الأولى ، وفتحت الشباك بينما "**ميجان**" واقفة في انتظار تحرك القطار ، وأحسست بغضب شديد وأنا أنظر إلى تلك الفتاة بثيابها الرثة وجوربها الممزق وحذائها البالي ، وسألتها :

– لماذا تظهرين بهذا المظهر المزري ؟

وأجابتني قائلة بهدوء :

– إنني أبدو هكذا منذ سنوات .. ما سبب غضبك ؟

– يغضبني أن أراك غير مهتمة بمظهرك إلى هذا الحد .

قالت إن مظهرها لن يتغير مهما أحسنت اختيار ثيابها .

وقلت لها :

– أريد أن أرى منظرك وقد تغيرت تماما .. كان يسعدني أن آخذك إلى "**لندن**" لأغير شكلك من قمة رأسك إلى قدميك .

وقالت باختصار : كم أتمنى أن أذهب معك ..

انتابني الجنون في تلك اللحظة ، وأسرعت إلى الباب في الوقت الذي بدأ القطار يتحرك فيه ، وأحطت خصرها بذراعي ورفعتها بكل ما أملك من قوة ، وسمعت صرخة أحد الحمالين ، وعندما استقرت قدماها على أرض القطار قالت :

– لماذا فعلت ذلك ؟

صرخت في وجهها قائلا :

– اسكتي .. سوف تذهبين معي إلى "**لندن**" ، وسوف أريك مظهرك عندما تحاولين تغييره .. أعتقد أنك لا تعرفين "**لندن**" جيدا ..

– بل أعرفها .. كنت أسير في شوارعها وأنا ذاهبة إلى المدرسة ..

– ولكنك سوف ترين "**لندن**" غير التي تعرفينها .

وصلنا قبل موعدي مع الطبيب بنصف ساعة ، واستقللنا سيارة أجرة إلى محل "**ميروتين**" – خياطة "**جوانا**" – وقلت للفتاة في الطريق :

– سوف أقدمك على أنك إحدى بنات عمي ..

قلت لـ"**ماري جراي**" الخياطة إن "**ميجان**" ابنة عمي ، وإن "**جوانا**" تخلفت عن الحضور لأسباب طارئة ، وإنني أريد منك أن تشرفي بنفسك على تغيير ثياب الفتاة من رأسها حتى أخمصي قدميها ، وأن تصحبيها إلى الحلاق ليقص شعرها ، ونظرت "**ماري جراي**" إلى الفتاة ثم قالت :

– لهذه الفتاة قوام بديع ..

وقلت لها باسما :

– لا شك أن بعينيك قدرة أشعة إكس .. لأنني أرى الفتاة لا قوام لها على الإطلاق .. سوف أعود في السادسة ..

قابلني "**ماركوس كنت**" بسرور زائد وهو يقول إن جو الريف والهدوء والبعد عن الإثارة من العوامل التي ساعدت على سرعة شفائي ، وعندما أخبرته أن جريمة وقعت في الريف الذي نصحني بالإقامة فيه ، قلت له بحزم :

– لقد استهوتني الإثارة ولن أترك "**ليمستوك**" ..

وقال الطبيب :

– إذن فقد عثرت على الشقراء المنشودة ؟

– كلا بالمرة .. إنما بدأت أهتم بسيكولوجية الجريمة ..

نصحني الطبيب بالحذر من القاتل ، وقلت له إن القاتل امرأة ، وعندئذ طلب مني أن أتناول العشاء معه لأحدثه عن التفاصيل ، وأخبرته أنني مرتبط بموعد، وابتسم ابتسامة لها معناها ..

وصلت إلى "**ميروتين**" في تمام السادسة ، واستقبلتني "**ماري جراي**" ضاحكة وهي تؤكد لي أنني لن أعرف الفتاة عندما أراها في شكلها الجديد .. وكانت "**ماري**" صادقة في ذلك ، فقد كانت "**ميجان**" ترتدي ثوبا رائعا يتناسب مع تقاطيع جسدها الممشوق ، وترتدي حذاء أنيقا ، بينما شعرها معقوص بطريقة تبرز جمال الوجه ، وقالت "**ميجان**" :

– كيف أبدو ؟ ألا تراني لطيفة ؟

قلت إن الكلمة لا تعبر عن الحقيقة ، وإن عيون الرجال سوف تحملق إليها بانبهار .. لم تكن "**ميجان**" جميلة ، ولكنها تتمتع بشخصية قوية ، وقد استلفتت أنظار جميع الرجال ونحن ندخل المطعم ، وتناولنا الكوكتيل في البداية ثم تناولنا العشاء ، ورقصنا بعد ذلك واكتشفت أن الفتاة راقصة ماهرة، وعندما سألتها أين تعلمت الرقص ؟ قالت :

– كنا نأخذ في المدرسة حصة رقص كل أسبوع .. وقلت لها باسما :

– هذه البراعة تتطلب أكثر من درس في الأسبوع !

كانت سهرة ممتعة ، وفوجئت بالفتاة تسألني عن موعد العودة ، واكتشفت أن موعد آخر قطار فاتنا ، واتصلت بأحد مكاتب إيجار السيارات ، وطلبت أسرع سيارة لديهم . وجاءت ورغم هذا وصلنا "**ليمستوك**" في ساعة متأخرة

من الليل ، وقلت للفتاة :

– لا شك أنهم كلفوا مجموعات بالبحث عنك .

وقالت "**ميجان**" بهدوء :

– لا أظن . فقد اعتادوا خروجي وتغيبي عن الغداء ..

– ولكنك تخلفت عن شاي بعد الظهر والعشاء في هذه المرة ..

رغم هذا فقد كانت "**ميجان**" محظوظة ، حيث كان البيت غارقا في الظلام ، وقذفت نافذة "**روز**" بحجر .

وانقضى بعض الوقت قبل أن تفتح لها الباب ، قائلة إن السيد خرج في نزهة بالسيارة مع "**إيلزي هولاند**" وأنه سأل عن "**ميجان**" عند عودته . وقالت "**روز**" إنها نائمة في فراشها . لأنه لم يخطر ببالها أن الفتاة في الخارج . ألقيت على "**ميجان**" تحية المساء ، وعدت إلى البيت فوجدت "**جوانا**" مستيقظة، وسألتها :

– هل كنت قلقة عليّ ؟

– لا بالتأكيد .. عندما تأخرت ظننت أنك ستبيت في "**لندن**" .

ضحكت وأخبرتها بما حدث لي .. وقالت بدهشة :

– ولكنك لا تستطيع أن تفعل في الريف شيئا كهذا ..

سوف تشيع القصة وتتردد في الغد على كل لسان .

– قلت : أنسيت أن "**ميجان**" لا تزال طفلة ؟

– كلا .. هي في العشرين ولا تستطيع أن تشتري لها ثيابا دون حدوث فضيحة .. ربما أصبحت ملزما بالزواج منها ! كانت "**جوانا**" تقول ذلك ساخرة ولكنني قلت بجد :

– لا يهمني ما يقوله الناس ، وانا لا أمانع في الزواج منها ..

رمقتني **"جوانا"** بدهشة شديدة ثم نهضت قائلة :

– نعم .. كنت أعرف ذلك منذ بعض الوقت ..

- 12 -

لا أعرف ما ردود الأفعال الطبيعية لدى الرجل وهو ذاهب ليطلب الزواج .. يبدو في الروايات جاف الحلق وياقته تخنق رقبته ويشعر بشيء من الاضطراب . ولكنني لم أشعر بشيء من ذلك ، فعندما نبتت الفكرة في رأسي، قررت أن أنتهي من العمل في أسرع وقت ، وتوجهت إلى بيت السيد **"سيمنجتون"** في حوالي الساعة الحادية عشرة وضربت الجرس وفتحت لي **"روز"** ، وأدخلتني الطاهية غرفة صغيرة وتركتني أنتظر **"ميجان"** التي سألتها عنها .

عندما فتح الباب ودخلت **"ميجان"** ، احسست بارتياح شديد لان الفتاة كانت تبدو طبيعية ، وكانت في ثيابها القديمة مرة أخرى ، ولكنها كانت قد اكتسبت ثقة في نفسها ، وخيل إليّ أن الفتاة نمت دفعة واحدة وقلت لها :

– استمعي إليّ يا **"ميجان"** .. أرجو الا أكون قد تسببت لك في بعض المتاعب بسبب ما حدث بالأمس ؟

قالت بثقة : أوه كلا .. ولكن أعتقد أن ذلك حدث .. أعني أنهم سألوني أسئلة كثيرة غريبة ..

قلت لها بهدوء :

– جئت هذا الصباح لان لدي اقتراحا .. أنت تعرفين أنني أشعر بميل

نحوك، لهذا فكرت أن أعرض عليك الزواج .

واكتفت **"ميجان"** بقولها : أوه ..

بدت عليها الدهشة ولكنها لم ترتجف ، ثم قالت :

– تعني أنك تريد أن تتزوجني ؟

– نعم .. أكثر من أي شيء آخر في الدنيا ..

– هل تقصد أنك تحبني ؟

– نعم يا **"ميجان"** .. أحبك .

– وقالت **"ميجان"** بهدوء :

– إنني أعتقد أنك الطف إنسان في الوجود .. ولكنني لا أحبك .

– سوف أجعلك تحبينني ..

– هذا لا ينفع .. لا أحب لأحد ان يدفعني إلى شيء دفعا ..

سكتت **"ميجان"** برهة ثم أردفت تقول بأسى :

– لست أنفعك كزوجة .. أنا من ذلك الطراز الذي يكره أكثر مما يحب .

وقلت لها : الكراهية لا تدوم ولكن الحب يستمر .

– هل هذا صحيح ؟

– هل تعنين بهذا أنك ترفضين ؟

– نعم .. ردي بالرفض .

– الا تشجعينني ببعض الأمل ؟

– وما جدوى ذلك ؟

وقلت لها : سوف أتشبث بالأمل سواء قلت نعم أم لا ..

خرجت من المنزل والدنيا قاتمة في عيني ، واستوقفتني **"روز"** قائلة إنها

قررت البقاء لتخدم الطفلين والسيد "**سيمنجتون**" المسكين ، خاصة وأن الآنسة "**هولاند**" عرضت أن تقوم بخدمة المنزل إلى جانب عملها كمربية ، وهي تحاول بذلك أن تلفت نظر مخدومها لكي تحل محل الزوجة الراحلة ..

فكرت فيما إذا كان ما قالته "**روز**" صحيحا .. هل تصبح "**إيلزي هولاند**" الزوجة الثانية للسيد "**سيمنجتون**" .

تستطيع أن تقول إنني عرضت الزواج على "**ميجان**" في ظروف غير مناسبة وإنني أخذت الجزاء الذي أستحقه ..

ولكن الأمر لم يكن كذلك ، لقد كنت واثقا أكثر من اللازم بأن الفتاة ملك لي، وأنني مسؤول عن رعايتها وتوفير الحماية لها ، وأنني كنت أتوقع أن تحس بذلك ، وأن تدرك أن كلا منا قد خلق للآخر ..

ولكنني لم أستسلم ، وذهبت إلى مكتب "**سيمنجتون**" ..

ولم يكن المحامي مشغولا واستقبلني في الحال ، وقلت له :

– صباح الخير .. هذه زيارة خاصة لا تتعلق بالعمل ..

وسوف أدخل في الموضوع رأسًا .. لعلك لاحظت أنني أحب "**ميجان**" ، ولقد عرضت عليها الزواج ، ولكنها رفضت ،ولكنني لم أعتبر الرفض نهائيا .

رأيت تعبيرات وجهه تتغير ولاحظت أن القلق قد بدأ يساوره ، وهو يفكر في أن الفتاة عبء عليه بعد موت أمها ، وابتسم ابتسامة شاحبة ثم قال :

– بصراحة يا سيد "**بيرتون**" .. لم تكن لدي أدنى فكرة عن شيء كهذا ، اعرف أنك كنت مهتما بها بعض الشيء ، ولكننا كنا ننظر إليها دائما على أنها طفلة .

وقلت له بحزم : إنها ليست طفلة .

– كلا .. كلا .. ليس بالنسبة للعجوز .

وقلت له غاضبًا : تصرفاتها يمكن أن تجاري سنها لو أنها أرادت ذلك .. إنها لم تبلغ سن الرشد بعد ، ولكنها سوف تبلغ السن بعد شهر أو شهرين ، سوف أترك لك فسحة من الوقت لتستفسر عني ، أنا على درجة من الثراء وعشت حياة هادئة ، وسوف أرعاها وأحاول أن أسعدها ..

– تماما .. تماما .. ولكن الرأى الأخير لـ"**ميجان**" .

– سوف تستجيب في الوقت المناسب ، ولكنني أردت أن أضعك في الصورة قال إنه يقدر ذلك ، وافترقنا صديقين .

التقيت في الخارج بالآنسة "**إميلي بارتون**" وكانت تحمل سلة المشتريات ، وبادرتني بقولها :

– سمعت يا سيد "**بارتون**" أنك ذهبت إلى "**لندن**" أمس .

وقلت لها : ذهبت لاستشارة طبيبي .

ابتسمت "**إميلي**" وقالت بصوت هامس :

– سمعت أن "**ميجان**" كاد يفوتها القطار وأنها قفزت إليه لحظة تحركه .. من حسن الحظ أنك كنت هناك وإلا وقع حادث .

أنقذتني من العجوز وصول السيدة "**دين كالثروب**" في صحبة ضيفتها ، وبادرتني السيدة "**كالثروب**" بقولها :

– صباح الخير .. سمعت أنك اشتريت لـ"**ميجان**" بعض الملابس الجديدة .. كانت لفتة طيبة من جانبك ، فقد كنت قلقة من أجل هذه الفتاة .

قالت ذلك واندفعت نحو أحد المحال تاركة الآنسة "**ماربل**" معي ، وقالت الأخيرة :

– السيدة "**دين كالثروب**" سيدة متميزة .. رأيها صائب دائما ..

– رأيها يفزعني في بعض الأحيان .

خرجت السيدة "**دين كالثروب**" من محل بيع السمك وانضمت إلينا مرة أخرى وهي مبتهجة بما اشترته ..

عدت إلى المنزل ولم أجد "**جوانا**" التي تخلفت كذلك عن الغداء وكانت "**جوانا**" تكثر من الخروج في الفترة الأخيرة دون أن تعلن عن وجهتها ، وعادت في الثالثة والنصف ، وسمعت صوت محرك سيارة في الخارج وظننت أنها سيارة "**أوين جريفيث**" وعندما تطلعت إلى الخارج لم ألمح أحدا كانت متجهمة وظننت أن شيئا ما قد حدث وسألتها عما يقلقها فقالت :

– صادفني اليوم أفظع يوم مر بي .. خرجت لأتنزه سيراً على الأقدام ، ومشيت بضعة كيلو مترات حتى وصلت إلى بقعة مهجورة .. رأيت مزرعة صغيرة وتوجهت إلى كوخ لأطلب بعض الماء ، وما كدت أطرق الباب حتى فتح لي "**أوين جريفيث**" وهو يتوقع حضور ممرضة ، ودعاني إلى الدخول وأفهمني أنني سأعمل مساعدة له في استقبال مولود جديد .. وعندما حاولت أن أفهمه أنني لم أمارس ذلك العمل من قبل ، أخبرني أنني سأساعد امرأة مثلي ، وأنه يكفي أن أستمع إلى تعليماته وأنفذها ...

غطت "**جوانا**" وجهها بيديها كأنما لتمحو ذكريات التجربة الغريبة ، وأخبرتها أن رسالة من "**بول**" في انتظارها ، وذهبت إلى الصالة وأحضرت لها الرسالة .. فتحت "**جوانا**" الخطاب وتصفحته على عجل ثم قالت :

– لقد كان .. لقد كان رائعا .. الطريقة التي كافح بها .. الطريقة التي ناضل بها حتى لا ينهزم .. لقد كان فظيعًا وغير محتمل في معاملته لي ..

ولكنه كان رائعا ..

أدركت أنها تتحدث عن إنقاذ الطبيب للوالدة والمولود ، وعرفت في تلك اللحظة أنها شفيت تماما من حب "**بول**" .

- 13 -

تقع الأحداث دائمًا على غير انتظار .. سمعت في صباح اليوم التالي رنين جرس التلفون، ورفعت السماعة فسمعت صوت "**ناش**" يقول لي :

– لقد أوقعنا بها أخيرًا يا سيد "**بيرتون**" ..

– هل تعني ...

قاطعني وهو يسألني عما إذا كان أحد يسمع الحديث الدائر بيننا، وعندما نفيت وجود أحد طلب مني الحضور إلى مركز الشرطة .. وأسرعت إلى المركز حيث كان المفتش ينتظرني، وعلى فمه ابتسامة عريضة، وقال :

– كانت مطاردة طويلة، ولكننا نجحنا في النهاية .. عرض عليّ رسالة مكتوبة كلها بالآلة الكاتبة تقول :

"لا فائدة من محاولاتك للاستيلاء على مكان امرأة ميتة .. كل القرية تسخر منك .. ابتعدي الآن؛ لأن أي تأخير لن يفيد . هذا تحذير وتذكري ما حدث للفتاة الأخرى .. اخرجي من هنا، ولا تعودي .."

وانتهت الرسالة ببعض كلمات بذيئة، وأخبرني المفتش أن الرسالة وصلت الآنسة "**هولاند**" صباح اليوم، وقال الرقيب "**باركنز**" : إنها الرسالة الثانية، وعندما سألته عن كاتب الرسالة قال باكتئاب :

– أنا آسف؛ لأن ذلك سوف يسيء إلى رجل طيب.

وإن كنت أعتقد أن الشكوك كانت تساوره بالفعل. ذهب "**ناش**" مع "**باركنز**" بعد الظهر ومعه أمر بالقبض على "**إيمي جريفيث**"، ودعاني المفتش لمرافقته؛ لكي أخفف من وقع الصدمة على الطبيب..

سألنا عن الآنسة "**جريفيث**" عند وصولنا، واكتشفنا أن "**ميجان**"، والآنسة "**هولاند**"، والسيد "**سيمنجتون**" موجودون؛ لتناول الشاي، وطلب "**ناش**" من "**إيمي**" أن يتحدث إليها على انفراد.

التمعت عينا السيد "**سيمنجتون**" وقد أدرك بغريزته ما يعنيه هذا الموقف.. دخل "**ناش**" في الموضوع رأسا وأخبر "**إيمي**" أن الاتهام الموجه إليها في اللحظة الراهنة يتعلق بكتابة الرسائل المجهولة وليس القتل، وانفجرت "**إيمي**" ضاحكة وهي تقول: لا شك في أنك تمزح..

أخرج المفتش من جيبه الرسالة المرسلة إلى "**إيلزي هولاند**" وأصرت "**إيمي**" على الإنكار، وقال المفتش:

– شُوهدت تكتبين هذه الرسالة على الآلة الكاتبة في معهد السيدات فيما بين الحادية عشرة والحادية عشرة والنصف مساء أول أمس.. ودخلت بالأمس مكتب البريد تحملين مجموعة من الرسائل..

أنكرت أنها أرسلتها، وأخبرها المفتش أنها أسقطت الرسالة على الأرض؛ ليقوم من يعثر عليها بمهمة إرسالها، واندفع السيد "**سيمنجتون**" إلى الغرفة؛ ليعرض على "**إيمي جريفيث**" خدماته، ولكنها صاحت في وجهه بحدة:

– اخرج يا "**ديك**" ليس أنت! ليس أنت!

– أنت في حاجة إلى محام يا فتاتي العزيزة..

وصاحت مرة أخرى:

– ليس أنت.. لا أحتمل ذلك!

وقال السيد "**سيمنجتون**":

– هل يناسبك أن أتصل بـ"**ميلداي**" في "**إكسهامبتون**"؛ ليتولى القضية؟

أومأت برأسها وكانت تبكي.. ودخل "**أوين جريفيث**" مندفعا يسأل المفتش عما يحدث، وعندما أدرك حقيقة الموقف نظر إلى "**إيمي**" التي أشاحت بوجهها قائلة:

– لا تخاطبني. لا تقل شيئًا وأرجو ألا تنظر إلى وجهي!

خرج المفتش مع "**إيمي**" وبقيت مع "**أوين**" أحاول التسرية عنه، وسألته عما إذا كان في استطاعتي أن أفعل شيئًا.

وعندئذ اندفعت "**جوانا**" إلى داخل الحجرة، وركعت تحت المقعد الذي ارتمى عليه "**أوين جريفيث**"، وقالت لي:

– اذهب أنت يا "**جيري**". هذه مهمتي أنا..

عندما عادت "**جوانا**" كانت شاحبة الوجه، وحاولت أن أسري عنها دون جدوى، وقالت بحزن:

– لم يقبل الزواج بي يا "**جيري**".. إنه شديد الكبرياء.

وقلت لها:

– وأنا أيضًا رفضتني فتاتي.. يبدو أن الـ"**بيرتون**" يمرون ببرج النحس، ولكن لا تنسي أننا لانزال معًا..

جاء "**أوين**" في اليوم التالي مشوشًا، وأبدت "**جوانا**" استعدادها للزواج به في الحال لو أنه أراد، ولكنه قال: إنه لا يعرض "**جوانا**" للمهانة عندما ينتشر في البلدة خبر القبض على أخته..

وذهبت إلى البلدة فوجدت القصة على كل لسان، وعثرت الشرطة في دولاب "**إيمي**" على الصفحات المنزوعة من الكتاب، وسألت "**ناش**" عما إذا كانوا قد عثروا على السيخ الذي ارتكبت به الجريمة، فقال :

– كلا.. وليس من المحتمل أن نعثر عليه، فربما تكون الشيطانة مجنونة، ولكن ليس إلى درجة احتفاظها بالسيخ، والأرجح أنها غسلته من آثار الدماء، وأعادته إلى درج المطبخ..

ذهبت إلى منزل القس، والتقيت بالآنسة "**ماربل**" التي كانت شديدة الأسى لا تكاد تصدق أنها "**إيمي جريفيث**"، وقالت :

– ولكن هذا فظيع.. عمل شرير للغاية. وسألتها السيدة "**دين كالثروب**" عن سبب انزعاجها، فقالت :

– لابد أن يكون في الأمر شيء، ولكنني أصبحت عجوزاً.. أخشى أن أقول إنني صرت غبية..

التقيت بالآنسة "**ماربل**" مرة ثانية بعد الظهر، وأنا في طريق عودتي إلى البيت، وكانت واقفة بالقرب من الجسر الصغير في طرف القرية بالقرب من كوخ السيدة "**كليت**" تتحدث إلى "**ميجان**"..

كنت أريد أن أتحدث إلى "**ميجان**"، وأسرعت نحوهما، ولكن "**ميجان**" استدارت بسرعة، وسلكت الطريق المضاد، وغضبت وحاولت أن أتبعها، ولكن الآنسة "**ماربل**" اعترضت طريقي قائلة :

– لا تتبعها الآن.. ليس ذلك من الحكمة.. هذه الفتاة على قدر كبير من الشجاعة، ويجب أن تحتفظ بشجاعتها في الظروف الراهنة.

أحسست برجفة لدى سماع كلمات العجوز، وخُيِّل إليَّ أنها تعرف شيئًا لا

أعرفه.. أحسست بالخوف لسبب غير معلوم..

التقيت بالعميد "**أبلتون**" الذي سألني عن أختي، ثم أعرب عن دهشته لموضوع أخت الطبيب قائلا : إنها على درجة من الجمال، ثم أضاف :

– ولكن هناك في القرية من هي أجمل.. مربية ولدي السيد "**سيمنجتون**". التقيت بها منذ بضعة أيام مع الولدين، وكانت في حاجة إلى بكرة صوف؛ لتستكمل "**البلوفر**" الذي تعمله، وعرضت عليها أن أوصلها إلى البلدة، وأعيدها بعد أن أنهي عملا لا يستغرق أكثر من عشر دقائق.. وشكرتني بحرارة. فتاة لطيفة حقًّا..

والتقيت بعد ذلك بالآنسة "**ماربل**" للمرة الثالثة، وكان ذلك في مركز الشرطة.. كنت أفكر في كلمات قالتها لي "**ميجان**" : أبعدني عن هذا المكان.. إنه مروع.. مملوء بالشر ! لماذا قالت "**ميجان**" ذلك؟ ما ذلك الشر ؟ لا يوجد شيء في وفاة السيدة "**سيمنجتون**" يجعلها تحس بالشر..

لماذا داخل الفتاة ذلك الشعور ؟ لماذا ؟ هل لأنها تحس أنها مسؤولة عن موت أمها ؟ "**ميجان**" ؟ محال !

لم تكن الفتاة مسؤولة عن تلك الرسائل البذيئة.. كنت أريد الالتقاء بـ"**ميجان**" بأي ثمن..

غادرت البيت في التاسعة والنصف، وذهبت إلى دار السيد "**سيمنجتون**". أسرعت الخطى؛ لأنني كنت في حاجة إلى رؤية الفتاة.. اجتزت البوابة، وصعدت الدرج.. كانت الليلة شديدة الظلمة، وقد بدأ رذاذ المطر يتساقط، وكانت الرؤية سيئة.

رأيت ضوءاً يتسرب من إحدى النوافذ.. ترددت برهة وبدلاً من التوجه

إلى الباب الأمامي، استدرت ببطء نحو النافذة متستراً بشجرة كبيرة.. كان الضوء يتسرب من فرجة بين الستائر، وكان من السهل مشاهدة من بداخل الغرفة.

كان منظرا عائليا.. السيد "**سيمنجتون**" يجلس على أحد المقاعد الكبيرة، بينما كان رأس "**إيلزي هولاند**" محنيا فوق قميص لأحد الولدين تصلحه، وكانت "**إيلزي**" تتحدث، سمعتها تقول :

– ولكنني لا أظن يا سيد "**سيمنجتون**" أن الولدين أصبحا في سن تسمح لهما بالذهاب إلى مدرسة داخلية. وقال السيد "**سيمنجتون**" :

– ربما كنت محقة بالنسبة إلى "**بريان**" يا آنسة "**هولاند**". لقد قررت أن يبدأ دراسته في نفس المدرسة الابتدائية التي درست فيها، ولكن "**كولين**" لايزال صغيراً.. وأفضل أن ينتظر عاماً آخر..

– إنني أفهم ما تعنيه..

حديث عائلي هادئ، ومنظر عائلي.. ورأس ذو شعر ذهبي مشغول بإصلاح قميص ممزق.. وعندئذ فتح الباب ودخلت "**ميجان**". وقفت مرفوعة الرأس، وأدركت أنها في حالة عصبية، فقد كانت عابسة الوجه، وفي عينيها نظرات عزم وتصميم.. لم تكن تبدو كطفلة بحال من الأحوال، وقالت للسيد "**سيمنجتون**" :

– أريد أن أتحدث إليك على انفراد.

بدت الدهشة على وجه السيد "**سيمنجتون**"، والتفتت "**ميجان**" نحو "**إيلزي هولاند**" قائلة لها :

– هل لديك مانع يا "**إيلزي**" ؟ قفزت الآنسة "**هولاند**" واقفة وهي

تقول :

– أوه! كلا بالتأكيد..

كانت تبدو مرتاعة، واتجهت نحو الباب، وظللت عند المدخل صامتة لا تتحرك.. خفق قلبي بشدة وأنا أنظر إلى ذلك الجمال الخارق، ثم رأيتها تغادر الحجرة في هدوء وتغلق الباب وراءها.. وقال السيد "**سيمنجتون**" بضيق :

– حسن يا "**ميجان**".. ماذا تريدين ؟

اقتربت "**ميجان**" منه وهي تحملق إلى وجهه، وراعتني نظراتها، ثم فتحت شفتيها وقالت :

– أريد بعض المال. وقال السيد "**سيمنجتون**" بحدة :

– ألم يكن باستطاعتك الانتظار إلى الصباح ؟ هل ترين دخلك غير كاف ؟

– أنا أريد قدراً كبيراً من المال. اعتدل السيد "**سيمنجتون**" في جلسته، وقال ببرود :

– سوف تبلغين سن الرشد خلال بضعة أشهر، وتضعين يدك على النقود التي تركتها لك جدتك.

قالت "**ميجان**" :

– أنت لا تفهم قصدي.. أريد مالاً منك أنت.. لم يحدثني أحد عن أبي.. لم يكونوا يريدون أن أعرف، ولكنني أعرف أنه دخل السجن.. وكانت التهمة ابتزاز المال بالتهديد.

سكتت "**ميجان**" برهة، ثم استرسلت تقول :

– حسن.. أنا ابنته وربما أكون قد ورثت طباعه.. على أية حال أنا أطلب

منك النقود؛ لأنك إذا لم تفعل..

توقفت مرة أخرى، ثم قالت وهي تضغط على كلماتها :

– لأنك إذا لم تفعل فسوف أقول ما رأيتك تفعله بالأقراص ذلك اليوم في حجرة أمي..

قال السيد "سيمنجتون" بهدوء :

– لست أفهم ما تقصدينه..

– أعتقد أنك تفهم جيدا ما أعنيه.

ابتسمت "ميجان" ولم تكن ابتسامة وديعة..

وقف السيد "سيمنجتون"، واتجه نحو المكتب، وأخرج دفتر الشيكات، ثم كتب شيكًا وعاد نحو "ميجان" ومد يده بالشيك قائلاً :

– لقد كبرت الآن وأنا أقدر رغبتك في شراء بعض الثياب اللائقة.. إنني لا أعرف ما تتحدثين عنه، ولم ألقِ بالاً إليه.. ومع هذا فإليك الشيك..

نظرت "ميجان" إلى الشيك، ثم قالت :

– شكرًا لك.. هذا يكفي في البداية..

استدارت "ميجان" وغادرت الحجرة. تابعها السيد "سيمنجتون" بنظراته حتى أغلقت الباب وراءها، ثم أدار وجهه نحو النافذة وتحركت من مكاني بسرعة بطريقة لا شعورية واصطدمت بما خُيِّل إليّ في البداية أنه شجرة كبيرة، واكتشفت أنه المفتش "ناش" الذي همس في أذني قائلاً :

– الزم الهدوء يا "بيرتون".. أرجوك..

أمسك ذراعي بقوة، وأرغمني على مرافقته، وعندما بلغنا ركن البيت قلت له باضطراب :

– الفتاة ليست آمنة.. ألم ترَ وجهها ؟ يجب أن نخرجها من هنا. قال "ناش" بخشونة :

– والآن.. يجب أن تستمع إليّ جيداً يا سيد "بيرتون".. حسن..

لقد استمعت إليه ولم ترقني الفكرة، ولكنني اضطررت إلى التسليم بوجهة نظره. واشترطت عليه البقاء في المكان على أن أنفذ تعليماته دون مناقشة.

دخلت مع "ناش" و"باركنز" إلى البيت من الباب الخلفي الذي لم يكن مغلقا، وانتظرت مع "ناش" على درجات السلم حتى دقت الساعة الثانية صباحا، وعندئذ فتح باب حجرة السيد "سيمنجتون" ورأيناه يغادر غرفته متوجهًا نحو "ميجان".

تجمدت في مكاني؛ لأنني كنت أعرف أن الرقيب "باركنز" يقبع داخل الغرفة، وأنه يعرف كيف يؤدي واجبه، وبينما أنا أنتظر في مكاني وقلبي يدق بعنف، شاهدت السيد "سيمنجتون" يغادر الحجرة حاملا "ميجان" بين ذراعيه وهو يهبط درجات السلم وأنا مختبئ مع "ناش" نرصد حركاته عن كثب.

تتبعناه حتى دخل المطبخ، ثم فتح باب فرن الغاز، ودسَّ رأس الفتاة داخله، ثم أدار مفتاح الغاز.

وفي نفس اللحظة اقتحمنا المطبخ وضغط "ناش" على زر النور، وكانت تلك نهاية السيد "سيمنجتون".. فقد انهار تماما.. ولم يحاول المقاومة.. لقد أدرك أنه خسر الورقة الأخيرة..

حملت "ميجان" إلى حجرتها، وبقيت في انتظار أن تفيق وأنا ألعن "ناش"

في سري، وقلت له مغيظا :

– كيف لك أن تعرف أنها ستكون بخير ؟ لقد كانت مخاطرة رهيبة .

وقال "**ناش**" بهدوء :

– لم يكن أكثر من منوم وضعه في الحليب (اللبن) الذي تشربه قبل النوم . . فلم يكن يستطيع المغامرة بدس السم، فمن وجهة نظره كان يعتبر الأمور منتهية بالقبض على الآنسة "**جريفيث**"، ولم يكن يريد وفاة جديدة تثير الشكوك . . لم يفكر في استخدام العنف، أو السم، ولكن لو أن فتاة منكودة الحظ فقدت أمها، ذهبت ووضعت رأسها داخل الفرن وماتت، فسوف يقول الناس إن الفتاة كانت غير طبيعية، وإن صدمة موت أمها قضت عليها . .

نظرت إلى "**ميجان**" بقلق وأنا أقول :

– ولكنها لم تفق بعد ! وقال "**ناش**" :

– لقد سمعت ما قاله الدكتور "**جريفيث**" . . القلب سليم، والنبض عادي . . سوف تظل نائمة بعض الوقت، ثم تفيق بطريقة طبيعية .

تململت "**ميجان**" في رقدتها، وتمتمت بكلمات غير واضحة، ثم غادر "**ناش**" الغرفة، وفتحت "**ميجان**" عينيها ببطء قائلة :

– "**جيري**" !

– مرحبًا يا حبيبتي .

– هل أديت دوري جيدا ؟

– يبدو أنك خلقت منذ مولدك قادرة على ابتزاز المال بالتهديد !

أغلقت "**ميجان**" عينيها ثانية، ثم قالت بصوت ضعيف :

– الليلة الماضية . . كنت أكتب لك . . في حالة ما إذا حدث لي شيء . . ولكن النوم كان يغالبني فلم أكمل الرسالة . . . إنها موضوعة هناك . .

ذهبت إلى حيث أشارت "**ميجان**" وعثرت على الرسالة التي لم تستكمل، وكانت تبدأ بقولها: عزيزي "**جيري**" . . كنت أقرأ أبيات "**شكسبير**" التي تقول : أنت بالنسبة إلى أفكاري كالطعام بالنسبة إلى الحياة . . هكذا ترى أنني بعد كل شيء أحبك؛ لأن هذا هو شعوري الحقيقي . .

قالت السيدة "**دين كالثروب**" :

– هكذا ترى أنني كنت محقة عندما استدعيت خبيرة ! حملقت إلى وجهها . كنا في بيت القس والمطر ينهمر بشدة في الخارج ونحن نستمتع بدفء نيران المدفأة، وقلت لها :

– هل فعلت ذلك حقًا ؟ ومن هي الخبيرة ؟ وما الدور الذي لعبته ؟

أشارت نحو الآنسة "**ماربل**" قائلة :

– هذه هي خبيرتي . . "**جين ماربل**" . . انظر إليها جيدا . هذه السيدة تعرف عن الشرور البشرية أكثر من أي إنسان آخر عرفته . . قالت الآنسة "**ماربل**" بهدوء :

– لم يكن ينبغي أن تعرضي الأمر على هذه الصورة يا عزيزتي . .

– ولكنك خبيرة بطبائع الناس . .

– يرى الإنسان في القرية حوله قدراً كبيراً من الطبائع البشرية . . كل المطلوب من الإنسان أن يفتح عقله، حيث إن معظم الجرائم تكون تافهة للغاية . . وجريمتنا هذه كانت واحدة منها . . كانت الحقيقة شديدة الوضوح، لقد كانت تحت بصرك يا سيد "**بيرتون**" . .

– أقول لك بصراحة لم أفطن إليها.

– بل فطنت إليها وأنت الذي وجهت نظري إليها.. لقد رأيت علاقة الأشياء ببعضها، ولكن ثقتك بنفسك لم تجعلك تفهم معناها.. ولنبدأ بالجملة التي ترددها دائمًا: (لا دخان بغير نار).. وقرنتها بساتر الدخان.. سوء توجيه كما ترى.. كل الناس ينظرون إلى الاتجاه الخاطئ.. الرسائل المجهولة.. ولكن الحقيقة أنه لم تكن هناك رسائل مجهولة..

– ولكني أؤكد لك يا آنسة "**ماربل**" أنه كانت توجد رسائل.. لقد تلقيت واحدة منها.

– أوه! نعم.. ولكنها لم تكن واقعية بالمرة.. حتى في قرية مسالمة مثل "**ليمستوك**" توجد كثير من الفضائح، وأؤكد لك أن أي سيدة تعيش في المكان كانت تعرفها وتستطيع أن تستغلها.. ولكن الرجل لا يكون مهتما بها بنفس القدر.. خصوصًا بالنسبة إلى رجل كـ"**سيمنجتون**".. هكذا ترى لو أنك أهملت الدخان وركزت على النار لوقفت على الحقيقة، ولو انك تركت جانبا موضوع الرسائل لوجدت شيئًا واحداً حدث هو موت السيدة "**سيمنجتون**".. لهذا كان طبيعيا أن يفكر الإنسان: من يستفيد من موت السيدة "**سيمنجتون**"؟ والرد بطبيعة الحال هو: الزوج.. وبذا يكون السؤال التالي: ما الدافع؟ والرد هو: وجود امرأة أخرى في البيت.. وأول خبر سمعته أنه توجد مربية أطفال حسناء في البيت. الا ترى بذلك أن الأمر واضح؟ السيد "**سيمنجتون**" متزوج بامرأة عصبية، معتلة الصحة، ويشرق في بيته فجأة هذا الجمال الفتان.. أنت تعرف الإنسان في هذا العمر عندما يقع في الحب.. يحب بجنون ولا يستطيع أن

يقاوم..

وفي مكان كهذا لا يوجد حل لمشكلته سوى موت زوجته.

كان يرغب في الزواج بالحسناء، وهي شخصية محترمة وهو كذلك إنسان محترم، فضلا عن أنه مولع بولديه ولا يريد أن يتخلى عنهما، كان يريد الاحتفاظ بكل شيء: البيت والولدين و"**إيلزي**"، وكانت الجريمة هي الثمن..

وفي رأيي أنه اختار طريقة ذكية.. كان يعرف بحكم خبرته القانونية أن الاتهام يوجه دائما إلى الزوج، لهذا استغل وجود الرسائل المجهولة باعتبار أن شبهات الشرطة سوف تتركز في امرأة وهو ما حدث بالفعل، واختلق الرسالة المرسلة إلى زوجته.. كان يعد لارتكاب جريمته منذ بعض الوقت..

لهذا كتب عناوين رسائله على الآلة الكاتبة قبل أن يهديها لمعهد الفتيات، ونزع صفحات الكتاب في أثناء زيارة سابقة له لبيت "**إميلي بارتون**"، واختار لتنفيذ خطته يوما تكون المربية فيه في الخارج مع ولديه، والخدم في إجازة، ولكنه لم يتوقع أن تختلف "**أجنيس**" مع صديقها وتعود فجأة إلى البيت..

سألت "**جوانا**":

– ولكن ما الذي شاهدته الفتاة؟ هل تعرفين؟

– لا اعرف ولكنني أستطيع أن أخمن.. وفي اعتقادي أنها لم تر اي شيء.. وقفت تنظر من النافذة في انتظار صديقها.. لم ترَ شيئًا.. لا عامل البريد، او اي شخص في الخارج يضع الرسالة في صندوق البريد.. واحتاجت إلى بعض الوقت، كي تدرك غرابة الأمر عندما وصل إلى السيدة

"**سيمنجتون**" رسالة مجهولة بعد ظهر ذلك اليوم.

وقلت لها بدهشة: ألم تصلها رسالة ؟

– نعم.. لم تصل بالتأكيد.. هذه الجريمة شديدة السهولة كما قلت، وضع الزوج السيانيد في كوب الماء بجانب القرص الذي ستتناوله الزوجة عندما جاءتها الأزمة بعد الغداء، وكور قطعة من الورق ألقاها في النار، ثم دس في يدها الورقة المكتوب عليها "لا أستطيع أن أتحمل أكثر من ذلك"

التفتت الآنسة "**ماربل**" نحوي قائلة:

– كنت على حق في ذلك أيضا.. قصاصة الورق.. الناس عندما يفكرون في الانتحار لا يكتبون على قصاصة من الورق، وإنما على صفحة وغالبا ما يضعونها داخل ظرف.. نعم.. كانت القصاصة خطأ وأنت تعرف ذلك..

قلت لها بارتباك:

– ولكنني لم أكن أعرف.

– بل كنت تعرف يا سيد "**بيرتون**".. لقد جمعت الحقائق ووضعتها أمامي.. ووضعت أمامي أهم حقيقة وهي أن "**إيلزي هولاند**" لم تتلق واحدة من تلك الرسائل.

وقلت لها:

– ظننت أنها كاتبة الرسائل المجهولة..

– كلا.. غالبا ما يرسل كاتب مثل هذه الرسائل واحدة منها لنفسه.. وقادتني تلك الحقيقة إلى فكرة.. لا يستطيع السيد "**سيمنجتون**" أن يبعث إلى حبيبته برسالة مملوءة بتلك الألفاظ البذيئة.

قالت "**جوانا**": وقتل "**أجنيس**"؟ ولكن ذلك لم يكن ضروريا.

– ربما.. ولكنه سمعها تطلب "**باتريدج**" وظن أنها تعرف شيئا، ومن ثم لم يستطع أن يغامر بتركها تكشف السر.. وأعتقد أنه قتلها قبل ذهابه إلى المكتب وأخفى جثتها داخل الدولاب بينما ظل بمكتبه بعد الظهر.. وكان مطمئنا وهو يعرف أن الشكوك تتجه نحو امرأة..

سألت "**جوانا**":

– ولكن لماذا اختار "**إيمي جريفيث**"؟ أعرف أن رجال الشرطة عثروا على الهون الذي يستخدمه الطبيب في سحق الأدوية، والسيخ المدبب في أحد ملفات القضايا بمكتب السيد "**سيمنجتون**" وتعتقد الشرطة أنه استولى على الهون في اليوم الذي ألقي فيه القبض على "**إيمي**" وأخفى الصفحات المنزوعة من الكتاب في منزلها.. وهذا يعود بي إلى نفس السؤال: ماذا بشأن "**إيمي جريفيث**"؟ لقد رآها رجال الشرطة تكتب تلك الرسالة؟

– نعم.. لقد كتبت تلك الرسالة بالفعل.

– ولكن لماذا؟

– ألم تدركي أنها كانت تحب السيد "**سيمنجتون**" طول عمرها؟ وأنها بعد موت السيدة "**سيمنجتون**" كانت تحلم.. ولكن الشائعات راجت عن "**سيمنجتون**" و"**إيلزي هولاند**" مما أثار ثائرتها.. وكانت ترى أن الفتاة غير جديرة بـ"**سيمنجتون**"، ولم ترَ بأسًا في أن تكتب واحدة من تلك الرسائل المجهولة؛ لتتخلص من "**إيلزي هولاند**".. وعندما أطلعت "**إيلزي**" مخدومها على الرسالة عرف على الفور كاتبتها فرأى

الفرصة مواتية؛ لكي ينهي القصة لصالحه.. تصرف شرير ولكنه كان مرتاعا..

وقلت للآنسة "**ماربل**" :

– ولكن أمراً واحداً لا استطيع ان اغفره لك يا آنسة "**ماربل**".. تعريض حياة "**ميجان**" للخطر..

– كان ينبغي عمل شيء.. لم تكن نملك دليلاً ضد ذلك الرجل الماكر، وكنت في حاجة إلى شخص يساعدني، شخص يملك قدراً كبيراً من الشجاعة ورباطة الجاش، وعثرت على هذا الشخص.

– ولكنها كانت عرضة لخطر جسيم.

– نعم.. ولكننا لم نات إلى هذه الحياة يا سيد "**بيرتون**"؛ لكي نتجنب المخاطر عندما تتعرض حياة الأبرياء للقتل.. هل تفهمني ؟

أومأت برأسي..

التقيت بالآنسة "**إميلي بارتون**" ذات صباح، متوردة الوجه من شدة الانفعال، وأخبرتني أنها ستقوم برحلة بحرية أخيرا.خصوصًا بعد أن علمت أنني سأتزوج "**ميجان**" وأعيش معها في بيت "**ليتل فيرز**" الذي قررت شراءه منها، وأن رفيقتها في الرحلة ستكون "**إيمي جريفيث**" التي تريد أن تسري عن نفسها بعد المحنة التي مرت بها..

في لحظة خاطفة فكرت في السيدة "**سيمنجتون**" و "**أجنيس واديل**" وهما ترقدان الآن في قبريهما وأنا أهمس لنفسي : لعلهما ترضيان الآن !

تمت بعون الله